عزيزي أبا سعاد
بعد التحية
هذه هي المادة التي نشرت عن الموّال السومري عبر خمس حلقات كاملة. يأخذ منها مستل للمقدمة حسب الحاجة الفعلية. أرسلها لك لتضع حسب رأيك إشارة باللون الأصفر للحذف، على غرار الإشارة على الموّال أدناه. وما تبقى هو المقدمة كاملة. أنا لدي أفكار محددة بهذا الصدد، ولكن من المناسب أعرف ما أنت تقترح حذفه. والأمر بمجمله متروك لظروفك ووقتك. وإن اللمسة الأخيرة لا تأخذ مني في أسوأ الإحتمالات بضع ساعات.
مع الود والتقدير

أبو خالد
18/9/2020

تقديم

الموّال السومري

د. عبدالحميد برتو

سيرة الشاعر ومساهماته :

طلب مني الكاتب والباحث والشاعر الشعبي د. خيرالله سعيد مشكوراً كتابة مقدمة لآخر أعماله، الموسوم بـ **"مـــــوّال ســـــومـــري"**. يعرض فيه السيرة الشعبيّة لليسار العراقي والقوى السياسية الأخرى خلال قرن من الزمان **1920 - 2020م**. يتضمن الكتاب مبحثاً عن الموّال العراقي، يتناول مسائل تتعلق بنشأته وتطوره وأنماطه. ذلك المبحث التمهيدي يُعد نظرة متفحصة لما أنجزه شعراً. سجل من خلال تلك موّالات "المواويل" **أحـداث القرن الماضي السياسية البارزة**. ومن هنا نحن أمام **عملين إثنين مهمين في كتاب واحد:** بحث حول الموّال العراقي، وأساليب نظمه، وكتاب آخر، **هو ديوان شعر شعبي**.
أكاد أرى من حقي أن أصف هذا العمل المهم بالكتاب الجديد أو **ديوان خيرالله سعيد**.
* * *

يتصف الدكتور خيرالله سعيد بدرجة عالية من الدأب والصبر، على طريق خدمة الثقافة والبحث العلمي والإبداع الشعري. وهو غني عن التعريف. يكفينا القول هنا، بأنه أعد **"موسوعة بغداد الثقافية في العصر العباسي"**. تقع في **20 مجلداً**. أخذت منه جهداً إستغرق 35 عاماً. غطت الموسوعة واحدة من أهم الحقب التاريخية عراقياً وعربياً وإسلامياً.

تدلنا مُقَدمة الموّال السومري، على الأرض التي جاء منها الشاعر. وعلى أهم حدث أو قضية تَكَوَّنَت عليها أُسسُ بداياته السياسية والفكرية، بل وعالمه العام. إن تلك البدايات ظلت شاخصة، ولم تغب عن وعيه السياسي والفكري والجمالي اللاحق.

كان الإنطلاق من أرض فلسطين، ومن حرب عدوان 5 حزيران ـ يونيو/ 1967. هزت تلك الهزيمة الموجعة كيان الفتى ذي الجذور الجنوبية و**أبن مدينة الشاكرية والثورة البغدادية**. هناك منذ ذلك التاريخ وضع الأسس الأولى لتكوين وعيه الوطني والطبقي، ثم منهجه في الإحساس والتفكير والبحث. بحث في الثقافة عن تفسير لما جرى. تتبع دور الكلمة في بناء الإنسان.

قاده كتابٌ مدرسي في المناهج التعليمية العراقية الى (**هُـوميـروس**) الشاعر الإغريقي وملحمتيه الشعرية **(الإليـاذة) و(الأوديسا)**. كانت تلك غنيمة الفتى الذي شب ثوري النزعة والتطلع. يشارك في تظاهرات أقرانه ضد أي ظلم وعدوان. تَعَرَّفَ على حقيقة تفيد بأن **الشعر الشعبي** يمكن أن يكون أداة ملحمية **على غرار ما أقدم عليه هُوميروس**.

تعززت وتطورت قناعة الكاتب الشاعر بدور ومكانة الشعر الشعبي، أثناء خدمته الإلزامية في الجيش العراقي. دامت تلك الخدمة خمسة أعوام تقريباً. أتاحت له فرصة التعارف واللقاءات القريبة مع زملائه الجنود، على الأخص من جنوب العراق حيث المنبت الرئيس للشعر الشعبي. هؤلاء الجنود البسطاء غير المتعلمين أو أشباه المتعلمين أذهلوا صاحبنا خلال مطارحاتهم الشعرية. وما تحمله تلك المطارحات من حميمية وذوق رفيع وقدرات تأثير، تثير العجب والأعجاب، خاصة صدقها الفطري. وربما الأصح الصدق المتأصل تاريخياً في أوساط الكادحين والفقراء. ولاحظ كيف تنساب تلك التعبيرات العذبة والرقيقة والعميقة في بعدها الإجتماعي والجمالي، عن طيب خاطر، وبشكلٍ عفوي منعش يضيء ليالي الجندية.

سَحَرَّ المـوّالُ بقوةِ تأثيره العجيبة خيرالله سعيد، منذ طفولته، وعلى مقاعد الدراسة الإبتدائية في كرخ بغداد. إذ كانت مدينته الشعبيّة العمالية الفقيرة ذات الجذور الفلاحية (**الشاكريـة**)، في مطلع ستينات القرن الماضي، بمثابة بؤرة للغناء الشعبي، وفي تذوقه والإستماع إليه. يجد سكان الشاكرية في الموّال بعض العزاء، من قسوة الظروف المعيشية

وغيرها. إن أغلب سكّان الشاكرية ينحدرون بالأصل من جنوب العراق، **أرض سومر** حيث بدأ التاريخ المسجل أولى خطواته .هذا واقع حال القادمين الجدد الى حواف المدن الكبيرة.

تآخى الموّال مع الشاعر والباحث عن طرق الحقيقية والجمال والعطاء الفكري. هو يقول: "يتسرّب الى روحي شيئاً فشيئا، وحينما رُحّلنا من مدينتنا العزيزة (**الشاكرية**) وأستقر بنا المقام في مدينة (**الثورة**) كانت المقاهي الشعبيّة، عند أوقات المساء، تضع (البكرات القديمة والكاسيتات الحديثة) لأغاني الموّال، لاسيما تلك التي يرتادها عشّاق الموّال، بشكل خاص، وكانت تبدأ بوضع أغاني الموال بساعات متأخرة من الليّل، لاسيما في ليالي الخميس/ الجمعة، وكنت أحد هؤلاء، حتى بدأت ملامح الموّال تظهر في روحي وفي سلوكي، ثم أخذت طريقها للظهور في كتاباتي الأدبية، وأنا في المرحلة الثانوية من الدراسة، حيث (**تصادقنا) أنا والمطرب يونس العبودي** منذ مطلع سبعينات القرن الماضي".

دخل خيرالله سعيد الحياة السياسية الفعلية، العلنية منها والسرية. توسعت إهتماماته الأدبية، وتتعددت مواهبه، وتجذّرت موهبة الإبداع الشعري الشعبي بصفة خاصة. الى جانب البحث والتأليف والعمل الأكاديمي، وشَكَلَّ إنتقالُ أعدادٍ كبيرة من مثقفي ومبدعي العراق عام 1979 الى الخارج، نقلة هامة في حياته. جاءت تلك النقلة تحت وطأة الهجمة الحكومية على القوى التقدمية واليسارية العراقية، وعلى الشيوعيين منهم بصفة خاصة.

إحتضن الإتحاد السوفيتي السابق أعداداً غفيرة من الطلبة العراقيين، ومن كل شعوب الدول النامية. كان لصاحبنا نصيب في الدراسة هناك، **وعلى نفقتهِ الخاصة**، ومن المعلوم أن روسيا ودول الإتحاد الأخرى تولي عناية خاصة بالثقافة العربية وعلومها تاريخياً. وعرفت كبار المتخصصين باللغة العربية والثقافة الإسلامية عامة. هناك أكمل دراسته لمرحلة الماجستير والدكتوراه ونال شهادة (**PhD**) بجدارة.

حين أنهى الباحث دفاعه عن اطروحة الدكتوراه نهاية عام 1999 في موسكو. اشتعلت من جديد فكرة الموّال في ذهنه، بشكل متصاعد ومتأجج. فراح يجمع الموّالات من الكتب والمجلات والإنترنت. لتتجمع عنده حصيلة هائلة منها. يدوّنها في (**كشاكيل**) خاصة. إعتنى بها أيما اعتناء. نعم الى درجة أنضجت عنده فكرة كتابة بحث منهجي - أكاديمي عن الموّال.

بديهي أن العيش في المنافي ليس نزهة. إنه يفتح أبواباً ويغلق أخرى. وهذه معادلة قاسية لها تأثيرات كبيرة على كل مغترب، وبكل الإتجاهات، وبكل ردود الأفعال، المتأنية منها

والمنفعلة. من أهم الثمار الإيجابية إنها تحرك عوامل القوة والإبداع عند بعض المغتربين. وتكون الغربة أحياناً سبباً للإنطواء والألم والإنكفاء وحتى الضياع. صاحبنا إمتلك عوامل خيار القوة والإندفاع للعمل الجاد، ليبقى واقفاً في مرحلة طبعتها الكثير من عوامل الضعف والحَيرة وضعف الأمل.

ليس هذه المرة الأولى التي ألتقي فيها، بعمل جاد ومهم للدكتور خيرالله سعيد. فقد سبق لي كتابة بحث موجز، قبل نحو سبعة أعوام، عن أحد أعماله المرموقة التي وصلتني: **"موسوعة الوراقة والورّاقين في الحضارة العربية الإسلامية"**. تعمق الكاتب في دراسة التراث العربي، واندفع نحوه بكامل طاقة الفكرية والمعرفية، والروحية. وكانت الحصيلة أكثر من **60 كتاباً ودراسة**. منها المخطوط ومنها المنشور. ومازال الكاتب الشاعر في ذروة عطائه الغني والمتواصل. كأن كل عام جديد يضيف له طاقة متجددة أعمق جذراً وأوسع مساحة وأرحب صدراً.

يبدو لي الشاعر الدكتور خيرالله سعيد، كأنه في ساحة حرب، فيما يتعلق بمجالات البحث والشعر والعمل الموسوعي. تَفْرضُ الحربُ عليه اليقظةَ المتواصلة والحذر والإستمرارية، وبذل الجهود الكبيرة وغير المنقطعة، والى جانب العطاء الغني والجدي. أبرر قولي هذا، من خلال عرض **منجزاته الثقافية** الواسعة. وهذا جرد بأعمالِهِ:

1- مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده - دراسة. وزارة الثقافة السورية دمشق 1991
2- النظام الداخلي لحركة إخوان الصفا - دراسة. دار كنعان. دمشق 1992
3- عمل الدعاة الإسلاميين في العصر العباسي - دراسة، دار الحصاد. دمشق 1993
4- خطاطو بغداد في العصر العباسي - دراسة. دار النمير، دمشق 1996
5- وراقو بغداد في العصر العباسي - دراسة طويلة. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض 2000 (وهي موضوع اطروحته للدكتوراه)
6- تاريخ انتشار الحضارة الإسلامية (**باللغة الروسية**) بالاشتراك مع مجموعة من المستشرقين الروس - موسوعة في مجلدين ضخمين. منشورات - أكاديمية العلوم الروسية موسكو 2002
7- من وجد ديوان الوجد. دراسة نقدية في فكر - المفكر الراحل هادي العلوي، دار كنعان. دمشق 2008
8- 13 (الوراقة والورّاقون في الحضارة العربية الإسلامية - موسوعة في **ستة أجزاء**. منشورات - دار الانتشار العربي في بيروت 2011م.
14- أوراق بغدادية من العصر العباسي - دراسة. صدرت في بيروت 2010م.
15- بغداد والشعراء والقدر - دراسة نقدية، صدرت عن دار العلم للملايين بيروت 2012

16- دراسات في الموّال العراقي ـ البحرين عام 2014م.
17- شاكر السماوي ـ الإيقاع المنفرد في القصيدة الشعبية العراقية ـ دراسة نقدية في أدب شاكر السماوي الشعبي. صدرت عن دار كنعان بدمشق 2019

وسيصدر لـه الدراسات التالية:

18- دراسات نقدية عن مقامات الحريري
20- مدن فلسطين في تراث الأقدمين ـ دراسة
21- أوراق من التراث/ (القسم الأول) "رجال ومواقف"
22- أوراق من التراث/ (القسم الثاني) "نساء ومواقف"
23- دراسات نقدية عن الرواية العربية السياسية المعاصرة ـ وليمة لأعشاب البحر نموذجاً
24- دراسات عن الفلكلور العراقي: الأبوذية ـ العتابا ـ المربع ـ الدارمي ـ الأمثال الشعبية
25- دراسات في القصيدة الشعبية العراقية ـ قصائد مختارة ـ دراسة نقدية عن الشعر الشعبي في العراق
26- حريـة الإبـداع في المخيلة الشعبية .
27- ملحمة شعرية بعـنوان (جبت كل العراق وجيت) تقع في 1580 بيتاً. صدرت عن دار كنعان بدمشق 2019
28- مجالس الغـناء في بغــداد في العصر العباسي.
29- بغـداد في حـلـّتها العباسية .
30- مكتبـات العـراق في العصر العبـّاسي .
31- مدرسة بغـداد العبـّاسية في الخط العربي .
32- أدوات الكتابـة ومقوّمات الكتـّاب في العصر العبـّاسي .
33- لصوص بغـداد في العصر العبـّاسي .
34- مترجمو بغـداد في العصر العبـّاسي .
35- صناعة الـورق في بغــداد في العصر العباسي.
36- إخـوان الصفاء في بغـداد في العصر العباسي، وتشكيل الحزب السياسي المنظّـم
37- أحزاب المعارضة السياسية في بغـداد في العصر العباسي .
38- أحزاب المعارضة الشيعية (ج1) .
39- الحركات السياسية والفكرية والباطينية المعارضة في بغداد في العصر العباسي .
40- ـ الأبوذية العراقية ـ بين الكتابة والإنشاد .
41- ألف ليلة وليلة ـ بغــدادية بامتياز .
42- مظفر النـوّاب ـ ذروة الإبـداع في الشعر الشعبي العراقي. صدر عن دار كنعان بدمشق 2019
43- عريان السيد خلف: الشاعرية المتكاملة.
44- العراق اليوم الى أين ـ قراءة في خطاب السلطة وسلوك المعارضة ـ نشر على شكل

حلقات متسلسلة على المواقع الأنترنيتية ـ في عام 2001م.
45- **نبض السنين**: بين ماضٍ تولّى وحاضر يخلخل القناعات) دراسة سياسية في كتاب آرا خاجادور (نبض السنين) في 9 حلقات. نشر في أكثر من موقع. في عام 2014م.
(من التسلسل 28 ـ 40) جميعها شكّلت (موسوعة بغداد الثقافية في العصر العباسي في 20 مجلد، مع ثمانية مؤلفات أخرى) وهذه الموسوعة مازالت منظورة أمام وزارة الثقافة العراقية منذ عام 2013م.
ـ أنجز موسوعة التراث الشعبي العراقي في 10 مجلدات ضخمة
ـ له (الشعر الشعبي المجنّس في العراق) موسوعة في 6 أجزاء ـ قيد النشر
ـ وأخيراً الموّال السومري.

حول الموّال:

من المتفق عليه عند أغلب الباحثين والمهتمين، ب**أن الموّال**: هو فن جديد من الفنون الشعريّة المستحدثة. ظهر بصفة خاصة بين الفئات الشعبيّة في بلاد المشرق العربي والإسلاميّ، ضمن إطار التجديد والتطوير في نظام القصيدة العربيّة، الذي يتسم بوحدة قافيتها. جاء ذلك بهدف تحقيق السهولة والسيرورة بين عامّة الناس المتذوقين لهذا الفن، تأليفاً وغناءً وسماعاً. يُغَنّى الموّالُ عادة بصحبة ناي أو ربابة.

أرى من الضروري أن يُبذل جهد مناسب، من قبل المتخصصين، من أجل رسم حدود ومضامين كلمة "ظَهَرَ أو ظهور" الموّال. هل تعني بداية تاريخ معين لفن الموّال، أو إن النشأة الأولى إرتبطت بمحاولات بارزة، لا تنافسها محاولات سابقة أخرى، مسجلة كانت أم مروية، للإستناد عليها. هذا الظهور في كل الأحوال لا يشمل العمق الزمني الفعلي للموّال. كما لا يضع نقطة بداية حاجة الإنسان الى الترنيم الذاتي. قبل أن يتبلور على هيئة واضحة المعالم، قاموساً وأوزاناً ومهاراتٍ إبداعية، لها: أنماط، قوالب، مسميات وقياسات. أميل الى القول بأن بذور الحاجة الى تذوق الفن من خواص الإنسان. هذا مع ضرورة الإقرار، بأن ملكة أو مستوى التذوق بين الناس على درجات متفاوتة. تنمو ملكة التذوق ضمن فوارق ذاتية في مستوى القدرات، ونوع الظروف المادية والروحية المحيطة.

برزت من الموّال عدة أنواع، هي: الرباعي، الخماسي، السداسي، والسبعاوي ـ البغدادي.كما توجد أنواع أخرى من المواويل كالثماني والتسعاوي والعشراوي، وغيرها. يُراعى في نظمها جميعها: **الطباق، الجناس، الزخرفة اللفظية** والفنون الجماليات الأخرى. كما إسْتَخْدَمَ الموّالُ في وقت لاحق اللهجة العراقية الدارجة. **يرى الشاعر الشعبي خيرالله سعيد أن موّاله السومري، يمكن أن يُبوّب في خانة (الموّال القَصَصي).** هذا القولُ مبرر

تماماً لأنه يحكي قصة شعب العراق خلال مائة عام.

يُعتبر الموّال من الفنون الملحونة. إزدهر بين عامة الناس من جهة، وبين الشعراء والظرفاء، على وجه التحديد، من الجهة الأخرى. شاع في أغلب البلاد العربية مرتكزاً على فن غنائي شعبي. ساعدته في ذلك قدراته على الإبداع والإبتكار الفني وإستثارة الدهشة والعواطف. ذاع وانتشر الموّال بفضل قدراته على السرد أو الغناء المنفردين. يقف في صدر قائمة المبدعين في فنِّ انشاده: **ناظم الغزالي ـ العراق، صباح فخري ـ سوريا، وديع الصافي ـ لبنان ولطفي بوشناق ـ تونس.**

أرى أن الموّال صِنو فن الرسم قديمٌ قدم الإنسان. يندرج ضمن فطرة الإنسان الأولى. وإن آلياته تتطور وتتغيّر. نرى الطفل في أشهر عمره الأولى يحلم ويبسم، فهذا المشهد أو التصرف يأتي ضمن بنائه التكويني. يهتم الإنسان بالفنون كفطرة بشرية، داخل مسلك تصاعدي للسمو بالنزعات البدائية. يساهم في تهذيب الروح، تطويع الغرائز، والإحتفاء بكل ما هو جميل ومبدع.

إن جَمْعَ المَوّالِ هو "مـوّالات" أو "مَوَاوِيلُ". يأتي الموّالُ على وزن فعّال. يُطلق على لون محدّد من النظم والغناء. وهو أحد أشكال الشعر الشعبي في العراق. إختار الشاعر والباحث خيرالله سعيد **تسمية (الموّال السومري)** عنواناً لملحمة الشعرية الشعبية التي إجترحها، بل التي جادت بها قريحته الخصبة. هذا الإختيار يدفع من جانب آخر الى طرح السؤال التالي: هل جاء الإختيار أو التسمية لإعتبارات تخص الموقع الجغرافي أم غير ذلك؟ أقول: ربما لأن **سومر** كانت بداية الحضارة الإنسانية ككل، وموقعاً لشتى التناقضات. ربما لو جرى إعتماد التسمية الأقرب، وهي **(الموّال الزهيري)** لكان مثل هذا السؤال لا مبرر له. سوف نقف عند تبرير شاعرنا للتسمية.

يُفَسِرُ تَسميةَ المَوّالِ بالسومري، بأنّـه **يتحدّث عن شعب سومر وبلاد الرافدين**، وماعاناه هذا الشعب من ويلاتٍ مترادفة ومتلاحقة عبر العصور. **يؤكد بأن التسمية تشمل** كل الشعوب والقوميّات والإثنيّات التي يتكوّن منها الشعب العراقي. في كل الأحوال شاعرنا بعيد عن مودة العدمية الوطنية أو القوميه ونقيضها التعصب العرقي. يُلاحق تطورات عصرنا الراهن وحالات الضعف، التي تمر بها شعوبنا بجدية ووعي وحرص. يسعي للإقتراب الى شعبه في عمقه الحقيقي النبيل الغاطس والمغطى ببحور من الجهل والدجل والإعلام المدفوع الثمن. لا يتهرب من كل السلبيات المشينة الطافية على السطح، بل يعمل لمعالجتها بثبات الواثقين، عبر فنه وكتاباته وبكل ما يتوفر أمامه من إمكانات. لم تمر عليه عقدة الخواجه، ولم تضعف عوالمه الفكرية والسياسية والسلوكية أمامها.

يرى خيرالله سعيد في **المـوالیـا**، بأنها الأرض التي نبت وتطور فيها ومن خلالها **الموّال**. وما زالت عمليات البحث عن جذور كل فن قائمة الى يومنا هذا. وستظل قائمة لِتَغتني موضوعةُ البحثِ بها. تكتسب إشارة العلامة **إبن خلدون** في مقدمته الشهيرة الى المـوالیـا بعداً إجتماعياً. تنطوي الإشارة بذاتها على إعتراف بأهمية هذا الفن وأهمية بعده الإجتماعي. توسعت المقدمة كذلك بتضمين فصلٍ في صناعةِ الغناء، وفي أشعار العرب وأهل الأمصار، وفيما يخص الموشحات والأزجال الأندلسية.

عُرِفَ العراقيون في العصر الحديث بين أشقائهم العرب، بأنهم رواد الشعر العربي قريضاً وحراً وشعبياً. ربما للتاريخ في هذا الميدان تأثير وإمتداد. يوجد خيط متين يربط الألواح الطينيّة بالورق والطباعة ومكتبات بغداد التاريخية. أغنت عشرات القرون من الإبداع الشعري بكل صنوفه مكتبات وذاكرة عالمنا. **كما أن الشعر** ليس ملكاً للرجال فقط. كان ولا يزال للنساء سجلاً رائعاً فيه أيضاً. تذكر أرض الرافدين بناتها من **إنهدوانا بنت الملك سرجون الأكدي الى نازك الملائكة**. والخيط الشعري من زاويته التاريخية والإبداعية غير منقطع.

تظهر النزعة الإقتحامية للموّال السومري من خلال موضوعاته. هو محاولة جريئة لتسجيل **أحداث قرن كامل**. تحمل الكثير من الموضوعات الخلافية المعقدة للغاية. إن قسماً كبيراً من تلك الموضوعات والأحداث الجسام، مازال قيد الدراسة والتقويم عند أصحابه أنفسهم، كما عند خصومهم. **تتجلى ضخامة المشروع بنوعية وكثافة وخطورة موضوعاته**. ربما تكفي الإشارة الى القضايا قيد التناول، ليتضح الأمر من حيث جسامته وصعوبته وتعقيداته، وهي: **التـــاريخ السياسي للعراق**، الأحزاب السياسية العراقية، تـــاريخ الحزب الشيوعي العراقي، حـزب البعـث العربي الإشتراكي، الأحزاب والحركات القومية الكردية، أحزاب الإسلام السياسي. ضم العمل الشعري ـ الموّال السومري، الذي يقف أمامنا نحو **30 موضوعاً**.

تظل مسألة كتابة التاريخ شعراً معضلة كبيرة شاخصة. تقف على طريق تفهم دور الشعر، عندما يتولى كتابة التاريخ. هناك الكثير من نقاط القوة عند الشعراء ونقاط ضعف الموضوعية أيضاً. تهتز حقائق التاريخ عندما يُسجل الشعراءُ تطوراتِها. في هذا المقام نشير الى قضيتين هامتين فقط، هما **الصدق والعاطفة**. يخدم الصدق الكتابة الشعرية للتاريخ من زاوية المصداقية. لأن الصدق نقطة قوة تمنح الشعر إعتباراً هاماً حتى على مستوى الصنعة. ولكن في هذا المجال توجد مسافة بين صدق الشعر ورؤية الحقيقة التاريخية. أما دور العاطفة بمعنى الإنفعال الشعري، يكون في الغالب على حساب الحدث التاريخي نفسه. هذه الحالة لا تماثل التزوير، إنما للعاطفة بعض الهوامش.

ل**م تفارق روح البحث العلمي شاعرنا في موّاله السومري**. بدأ بوضع مقدمة منهجية. تناولت تعريف الموّال، صيغه، أوزانه، أنواعه، إشكاليات تسميته، الخلافات حول بداياته، والعلاقات المتبادلة بين الشعر الفصيح والشعبي. توقف عن أهم الباحثين الذين كتبوا حول الموّال. وعرض ما يشبه السيرة التاريخية للموّال، متتبعاً خط سيره ونموه من **العصر العباسي الى يومنا هذا.**

هذه السيرة التاريخية المدونة شعراً شعبياً تطرح سؤالاً يمتلك كل مبرراتِ الطرح: **هل أقْدَمَ الدكتور خيرالله سعيد على مغامرةٍ في بحثه الشعري والثقافي والسوسيولوجي الجديد؟ الموسوم (موال سومري: السيرة الشعبيّة لليسار العراقي والقوى السياسية الأخرى** خلال قرن من الزمان 1920 - 2020 م).
إن الشعر أحد مصادر كتابة التاريخ، ولكن حين يتولى المهمة كاملة تكون المغامرة. ولكن مما يحتوي الروع والقلق السؤال التالي: هل يمتلك الشاعر القدرة على ردع نفسه من إقتحام الطريق الوعر؟ من حيث الصدق: **نعم**.

قبل أن أبدأ تناول الكتاب ـ الديوان أجد في فاتحته، ما يشي بالكثير عن الشروط الروحية والفكرية والمنهجية، التي استند الكاتب عليها. حين أهدى جهده الى شاعرٍ من أرض الكنانة. جاء في (**الإهداء: الى الخال عبد الرحمن الأبنودي** - (11 نيسان/ أبريل 1938 - 21 نيسان/ أبريل 2015) **كنتُ وادّاً لو أنّك اطّلعت على هذا الموّال قبل الرحيل**).
أرى في هذا الإهداء حالة من التشارك في هموم الوطن، ومتطلبات الدفاع عنه وصيانته والتضحية في سبيله. والتشارك في موهبة التعبير بالشعر الشعبي المُغنى. وتلاحم حضارة وادي الرافدين مع حضارة النيل. وما يحمله ذلك الوصف من حميمية عذبة رقراقة كماء الفرات أو النيل، أو الإثنين معاً وأختهما دجلة الخير. والتواصل بين جنوب العراق المنبت الأكبر للشعر الشعبي وصعيد مصر. وكما طرب الخال عبد الرحمن الأبنودي لأغاني السيرة الهلالية. إهتزت جَوانِحُ خيرالله سعيد للموّال السومري. غني عن البيان وصف خيرالله سعيد للأبنودي بالخال من دلالة على وحدة الأرحام.

يقوم الموّال على الوزن البسيط. إن البحر البسيط هو أحد بحور الشعر. سميَّ بسيطاً، لأنه إنبسط عن مدى الطويل. **جاء وسطه فعلن وآخره فعلن**. قيل: سُمِّيَ الْبَسِيْط بهذا الإسم لانبساط أسبابه، أي تواليها في مستهل تفعيلاته السباعية، وقيل: لانبساط الحركات في عَرُوْضه وضربه في حالة خبنهما؛ إذ تتوالى فيهما **ثلاث حركات**.

يعتبر الشعر العربي من أهم الفنون الأدبية وأقدمها على الإطلاق. لنقل حوادث وتطورات

التاريخ وقصصه. يحمل الشعر في بنائه الداخلي موسيقى وجمالاً تشد القارئ أو المستمع إليه. مع تعدد البحور الشعرية **يظل البحر البسيط** طاقة وهّاجة خاصة ومميزة. لا تبخل البلاغة بفروعها المختلفة، في إغناء الحالات الوجدانية والفكرية المختلفة لتوطد أركان البناء الشعري، وتخدم تمرير الغاية المتوخاة.

أغنى **التَجْنِيس** الموّال السومري. إذ يعطي تشابه لفظين مع إختلافهما في المعنى مساحة أوسع للبيت الشعري. ومن المعلوم أن هناك **عدة أنواع من الجناس**: الجناس اللفظي أو الجناس التام، وهو أن يتفق اللفظان في أربعة أمور، هي: 1 ـ أنواع الحروف 2 ـ عددها 3 ـ هيئتها و4 ـ ترتيبها. أما الناقص فهو يختل أحد تلك الشروط الأربعة المذكورة. الجناس غير التام هو ما إختلف فيه اللفظان في واحد. يضم الجناس المعنوي جناس إضمار وجناس إشارة. يطلق على جناس الإضمار أحياناً تسمية التورية. **يُعدّ الجناس في ميدان البلاغة من أكثر أنواع البديع عطاءً وتنويعاً.**

إن إستخدام (الجناس) عوضاً عن القافية، هو أمرٌ في غاية الأهمية والصعوبة. تتجسد أهميته في التأثير الجيد على السامع. وتكمن صعوبته في أن (**تعديات الجناس**) لا تتجاوز، في الغالب، **الثلاث معاني أو أربعة**، وهذا شأن لا يتغلب عليه إلاّ من يمتلك مهارة فنية كبيرة وخيالاً واسعاً. لا تكتمل الصورة دون تبيان أواصر العلاقات بين السجع والجناس. كلاهما يتطلبان مهارة فنية وذوقية عالية تحقق التوافق دون تكلف. **وقد رصَّع شاعرنا موّاله السومري بمهارة جميلة بلؤلؤ السجع ترصعاً مستحباً يريح الذائقة.**

إكتشف الشاعر خيرالله سعيد من خلال الممارسة الفعلية القدرة الفنية على التعبير شعرياً، ومن خلال لون شعري واحد، يفرض قانونيته من خلال الجناس والوزن "البسيط" **ونظم كل العمل بموّالٍ واحدٍ، متعدد "البنود" والبند، هو كل 3 أبيات في جناسٍ واحدٍ**، بمعنى آخر، أن الشاعر وضع نفسه في قانونية **"لزوم ما لا يلزم"** والتزم بهِ حتى النهاية، وهو الأمر الذي يظهر النَفَس الطويل عنده في البناء الشعري.

أما البند الشعري: فلا أتوسع هنا بصورة مفصلة بصدد كل ما ينضوي تحت كلمة **"البند"**، من معان ومفاهيم وإختلافات. تدور حول التعريف والمضمون والنشأة وموقعها الأول، في بغداد أو الحويزة أو واسط غيرها. بل ومَنْ أخترعه أصلاً. على الرغم من أهمية ما تقدم، ولكن ليس من المهمات المطلوبة هنا. إن المطلوب هو تحديد الملامح العامة والقيمة الكلية للبند.

يمكن القول: إن البند نوع من الشعر العربي. يحتوي البند موسيقى ونغم وسحر العبارة،

بالإضافة إلى اتقاد الشعور والمخيلة أيضاً. هذه المواصفات أدت الى ظهور الموشحات في الأندلس كوسيلة للتعبير الشعري. يقوم على التعبير الحر الذي لا يتقيد بوزن واحد ولا قافية واحدة. وإن إتصف بالوزن والقافية في العديد الحالات أيضاً. للبند ميزة الغناء، حيث يغني في مجالس الأنس والطرب. إن الغناء هو السبب الأول في اختراع (**الكان و كان) و(القوما) و(الزجل)** ...الخ.

عَرَفَت **كلمةُ بند** عدة معان، منها: البحيرة، العلم الكبير، فصل من كتاب، الفقرة، القيد، والحيلة. إذا قيل فلان كثير البنود، فيعني أنه كثير الحيل. ومنها القول في اللهجة العراقية الدارجة (**ضربت فلاناً بنداً**) يعني أوقعته بحيلة. إن **جمع بند بنود**. يعني البند العقد والربط. وهو حلقة وسطى بين النظم والنثر. يرى بعض الباحثين **بأن البند مهَّد لقصيدة النثر. وإن الشعر الحُر إمتداد للبند.**

نصل الى نقطة هامة في نتاج الشاعر الشعبي خيرالله سعيد. تفيد بأنه إرتقاء الى (لزوم ما لا يلزم). أي إعتمد الشاعر قانونية لُزُوم مَا لا يَلْزَم بخطوطها العامة في شعره. أطلقها عَلى سجيّتِها. أي أن الشاعر ألزم نفسه في جوهر الأمر بما لا يلزمه بصدد نمط النظم الذي لم يكن عليه واجب الإلتزام به، **أو بتعبير آخر مارس نظماً غير معهود**.

ومن المعلوم أن **اللزوميات** فرضت نفسها في الشعر العربي كفن أدبي جميل. غني عن البيان ذكر نقائض جرير والفرزدق، خمريات أبي نواس، لزوميات المعري، حماسات عنترة، أهاجي الحطيئة، تألهات إبن عربي، وطنيات الرصافي، إنسانيات الجواهري، حزنيات السياب وغزليات قباني.

تتطلب قانونية لزوم ما لا يلزم قدرة شعرية حصيفة، وثروة لغويّة واسعة. كما إن هذا الفن لا يتوافق مع المبالغة والإسراف فيه. ينبغي أن يأتي تلقائيّاً مُنْساباً على السجيّة المبدعة. والمماثلة في الأحرف تكون منسجة بلمسات فنية بارعة تعزف لحناً تستطيبه أذن السامع.

الخيمة والصريفة

تطورت الحياة الإنسانية بكل جوانبها، خلال مسيرتها المديدة، منذ عصر المشاعية الى يومنا هذا. فعلى صعيد الفكر ونمط التفكير، كان التفسير الخرافي والأسطوري أداة لفهم حركة الكون وظواهره وحياة الإنسان نفسه. ثم جاء الفكر الديني، أعقبته الفلسفة، وأخيراً تربع العلم على موقع الصدارة بكل أنماطه وأشكاله وفروعه ومستوياته. بديهي أن تكون درجات تداخل المراحل بمستوياتٍ متفاوتة حسب حجم التقدم الذي يحققه كل مجتمع على حدة، وحتى كل

فرد. بات الوضع الدولي يلعب أدواراً متزايدة بإضطراد في الإعاقة أو فتح بعض المجالات الجديدة.

إنتقلت المجتمعات المختلفة بنسب متفاوتة على صعيد النمو الإجتماعي ـ الإقتصادي، وعلاقات الإنتاج واسلوب الحياة. من المشاعية الى العبودية الى الإقطاع ثم الرأسمالية، لتفتح الأخيرة بشكل خاص باباً صوب الإشتراكية بكل مراحلها. تشهد كل نقلة إجتماعية تداخلاً مع سابقتها ومع المرحلة اللاحقة. من المعترف به على نطاق واسع أن **البناء الفوقي**، على صعيد القيم الأخلاقية والإجتماعية والثقافية، لا يسير بذات السرعة التي يتطور أو يتدهور فيها البناء المادي والإنتاجي.

احْتَلَّ مسكن الإنسان موقعاً في مركز الحياة الفردية والإجتماعية، بكل مراحل التاريخ. من ظلال الأشجار تقليداً للطيور، الى الكهوف تقليداً للحيوانات، الى الخيمة في نمط أو إسلوب حياة التنقل ـ **البداوة**، الى **الصريفة** في الحضارات النهرية بصفة خاصة ـ فقراء الفلاحين، الى المساكن المعروفة اليوم بكل تباينات مستوياتها، ودرجات التنوع في الخدمات المتوفرة فيها: المياه، الكهرباء، الصرف الصحي، سعة المساحة، مواد البناء، نوع التأثيث، الى الخدمات في البيت والشارع والحي والمدنية، المواصلات والإتصالات وخدمات الصحة والأمن ... الخ. الى البيوت الذكية. ولن يتوقف السير الى أمام.

تؤثر كل تلك الظروف والأحوال والعلاقات السائدة في كل مرحلة على الوعي العام والفردي، وعلى إسلوب الحياة العامة والخاصة، وعلى القيم الإجتماعية السائدة والقوانين والصحة، العامة منها والفردية، وعلى مستوى تذوق وإنتاج القيم الجمالية وغيرها كثير. وفي ظل الإنتشار الواسع للإعلام الجماهيري ووسائل الإتصال، بدأت الأخيرة تتحول الى عامل هام ومؤثر في صناعة وصياغة الرأي العام والضغط على المعتقدات والعادات والقيم أيضاً.

لا تأتي قيم المجتمع ولا تتغير دفعة واحدة. إنها عملية تراكمية متواصلة. تراكمت فيها حالات التطور والنمو والتراجع والإنكفاء كذلك. لم تكن دروبُ المجتمعات ولا خطوط سيرِها يوماً ذات إتجاه واحد. رحبت أرض الرافدين عبر كل مراحل التاريخ بالموجات السكانية القادمة إليها. إستقر الكثير من القبائل العربية البدوية فيها، الى جانب الممالك العربية المستقرة سابقاً: المناذرة والغساسنة وغيرهما من التجمعات السكانية الواسعة.

يترحل البدو أملاً بالكَلأِ، ويستقرون طمعاً بالمياه الوفيرة والثمار والخضرة المعطاة. يجري التعود على نمط الحياة الجديدة في الغالب بإنسيابية مقبولة نسبياً. **لكن المُثل والقيم والمشاعر** لا تتغير بذات السرعة. تتطلب حياة التنقل الدائم شبكة واسعة ومتداخلة مع بعضها البعض،

من أنماط السلوك والنظم القيميّة العرفية وأساليب الحياة والتعامل، التي تحكم واقعهم. ترافق وتطبع تلك القيم بإيجابياتها الكثيرة وسلبياتها أيضاً حياة الريف المنحدر من أصول بدوية قريبة العهد. **فالفلاح العراقي** يشارك أخيه البدوي المتنقل وراء الكَلَأِ والماء مشاعره وقيمه بفعل تواصل الجذور المشتركة. لا أبالغ حين أعثر أو أشير الى علاقات روحية وقيمية **وسلوكية بين الخيمة والصريفة**. يَقَعُ الإمتحان في الحالتين في ساحةِ ضَنْكِ الحياة نفسها. إن خط الإنتقال من حياة الظعن الى الريف، ومن الأخير الى حواف المدينة، التي تتعايش فيها الكثير من المشتركات والتنافرات، تُشَكل رحلةً تَسْتَحقُ متابعة حركتها ببعدها الإجتماعي، وفي المشاعر والذوق الجمالي، وفي المقدمة منها **الشعر** عصارة المعاناة التي تقدم حالة تهم الجميع، وليس المتخصصين فقط. **سجل خيرالله سعيد شعراً أبرز وأخطر المحن الى مرت على شعب العراق.**

تجد في شبكة العلاقات الشخصية والعائلية والقبلية تشابهاً وتقارباً ومفارقات بين الخيمة والصريفة. تحتل بعض الصفات تاج الفخر على كل الصعد، مثل: الشجاعة، الكرم، النخوة، التعاضد، الشهامة، البساطة، الصراحة، الصدق، التعفف وغيرها من الصفات الكريمة. لا تغيب في الوقت نفسه: روح المغالبة، القسوة، المكر، التستر على بعض جوانب الضعف الإنساني، وما الى ذلك. لكل تلك التناقضات أسباب موضوعية فرضتها الحالة الإقتصادية ـ الإجتماعية العامة، وتقلبات الظروف الطبيعية، والموروث التاريخي الثقافي. في الريف تتوسع الفوارق الإجتماعية ليحل النفوذ عند السلطات والإمكانات المادية محل الشجاعة في فضاء البوادي.

تبقى العلاقة بين المبدع ونتاجاته علاقة خَلْقٍ على قاعدة الظروف الملموسة المحيطة والمهارات الفردية. تُفسر تلك العلاقات الكثيرَ من جوانب الغموض في النص الشعري. يشرق ذلك الغموض على النص الشعري نفسه يُغنيه ويشذبه ويُلين زواياها الحادة. ولكي يبقى هذا الفهم غير قسري **ينبغي على الناقد والمتذوق الإقتراب المرهف من تلك العوامل**. فينبغي تحليل وتقويمِ العمل الإبداعي ضمن الفهم الدقيق لتلك الظروف والتحولات والنظام القيمي السائد.

توجد وحدة لا انفصام فيها، بين سلوك وفلسفة واسلوب حياة الشاعر وبين ابداعاته. ومن أبرز سمات تلك الوحدة يشار الى **الصدق والصراحة**، ليتحول العطاء الى أرض للفرح والأمل والشجاعة. بدا الشعر الشعبي كأنه يمثل ذوقاً فلاحياً قبل كل شيء. كثير من علماء الإجتماع أشاروا الى الوشائج القوية بين البداوة والتحضر بمعنى السكن المستقر. ولكن تلك التقديرات إعتمدت في الغالب المشاهدات العابرة في تماثل بعض العادات والتقاليد والتقيم. أرى أن تلمس تلك الحالات عبر النتاجات الشعرية من الأدلة المتينة، التي تستحق عناية دقيقة

وتفصيلية.

لا نحتاج الى أيِّ مَسْحٍ إجتماعي للشعراء الشعبيين في العراق، للتوصل الى حقيقة أن طابعه الغالب هو **جنوبي** الموقع والذوق والتجربة الملموسة. تحوي موضوعاته وصوره ومثله الروحية قيماً فلاحية متأصلة في وجود وذاكرة المجتمع، مشدودة الى قيم التلامس المباشر بين الإنسان وفضاء الطبيعة الواسع حوله، **يسميه البعض بقيم البداوة**. هنا نجد الحبل السري الذي يربط الخيمة بالصريفة بحواف المدن.

يعيش مجتمعنا العراقي والعربي عامة، مرحلة إنتقالية مجهضة، فيها عوامل الدفع متنافرة. تخلق لوحة سريالية المشهد، بالإكراه وليس إبداعاً. سادت النظرة الأحادية وطابع التضارب في كل شيء. وخبت روح التحري عن وجوه الإبداع. إختلطت قيم الشك والغضب والتمرد مع قيم الإنبهار الفج بكل ما يمنح صفة جديد، على حساب الثقة بخلاصات التجارب الإجتماعية الخاصة والعامة.

تكشفُ أية وقفةٍ مدققة بنتاج الشاعر خيرالله سعيد في موّاله السومري القصصي، أمام الناقد أو القارئ أو السامع وجهَ الريف العراقي الحقيقي، وجذوره الضاربة في عمق المنطقة. تَعَمَّقَ وتحرى وبحث الشاعر في مجتمعة بجهد كبير، **ليسجل إنطباعاته بصدق وأمانة ونظرة فنان أرهقته الحياة**، حتى بات عوده أقوى ونظرته أوسع وحسه يتجسد شعراً بلغة العامة من الشعب. إمتلكت نظراته صلابة ومرونة وإشراقاً جعلتها عصية على الطحن، أو تقبل ما ترفضه حكمة مَنْ جاء شعره لأجلهم ومعبراً عنهم. منحت معاناة الخلق والإبتكار وعمق الإحساس شعرَ شاعرنا صفة وليد المعاناة الممتحن.

حين تتكلم الأعمال عن صاحبها، فهي الأكثر دقة وتعبيراً وتعريفاً. إن الموّال هو نوع من أنواع الشعر العربي المعروف منذ زمن طويل. لا أميل الى الترجيحات التي ربطت أصل **ونشأة الموّال بعصر هارون الرشيد حين بطش بوزيره جعفر البرمكي**. إنه أقدم عهداً وأسبق ضرورة. يوجد إختلاف بين الباحثين حتى على موقع نشأة هذا النوع من الشعر والغناء. هناك مَنْ ينسبه إلى إلى أهالي واسط في العراق وقسم يربطه بالأحواز وإحتمالات أخرى.

يلامس الموّال القوما كرابطة فنية حسب. **ظهر فن القوما في أواخر الدولة العباسية ببغداد.** عندما اخترعه البغداديون في شهر رمضان، لإيقاظ الصائمين لتناول السحور. روابط الموّال مع العتابة والأبوذية متينة أيضاً. هذه الأخيرة منظومة عاميّة تتألف من أربعة أشطر، الثلاثة الأشطر الأولى تنتهي بكلمة واحدة متّحدة في اللفظ مختلفة في المعنى، إنه الجناس. ينتهي الشطر الرابع من الأبوذية بياء مشددة، تليها هاء مهملة **وتسمى القفلة**. ينظمها الشاعر

وتصبح من مهمة المستمع استخراج معانيها. **يتكون الموّال الزهيري من بندين، البند الأول يسمّى بالعتبة، والبند الثاني يسمى الردفة**، ولكل بند ثلاثة أشطر، متّحدة الجناس مختلفة المعنى، كما في الأبوذية، أما السابع وهو المسمّى بالقفلة أو الرباط، فيتحد في جناسه مع البند الأول مع مراعاة إختلاف المعنى.

إذا تعاملنا مع الموّال على أساس نفسي ـ إجتماعي نجد الوشائج متينة بين الخيمة والصريفة في تعبيرهما الإجتماعي. **ربما ملحمة حياة وشعر الشيخ عبدالله الفاضل** تترجم ذلك على أكمل وجه، من حيث الترابط القيمي والنظرة الى الحياة والأسرة والروابط الإجتماعية الأخرى.

تحمل قصة ذلك الشيخ البدوي حالة إنسانية تستحق التحليل العلمي للرواية الشعبية أحداثاً وأدباً. قد تفهم اليوم **قصة عبدالله الفاضل** بطريقة أفضل في ظل التباعد الإجتماعي الراهن، الذي فرضه شبح الفيروس التاجي ـ كرونا ـ (**كوفيد ـ 19**). بديهي أن الرواية الشعبية تشهد إضافة هنا وإجتزاء هناك. ولكن القصة حافظت في كل الأحوال على مصداقية التواتر.

ليس هناك حاجة ملحة لإعادة سرد الوضع، الذي وجد فيه الفارس الشجاع نفسه، بعد أن أصيب بالجدري، ذلك المرض الفتاك حينذاك. وَضَعَ المرضُ القبيلةَ في حَيرة من أمرها. ولكن الضرورات تبيح المحظورات. فسلامة القبيلةِ أهم من فارسها وإبن شيخها. تركت القبيلةُ إبنَها وهاجرت. تركت له ما يقيم أوده الى أن يوافيه الموت المؤكد. تركت معه كلبه وخادمه أيضاً. لكن الأخير هرب بعد رحيل القبيلة مدعياً أن عبدالله قد وافته المنية. وتلعب الأقدار دورها في إنقاذ الفارس الشاعر.

نال الشاعر الشيخ عبدالله الفاضل بجدارة **لقب شاعر العتابة**. تعبيراته رائعة وجذابة. عَبَّرَ بنجاحٍ عن مُثلِ: الشجاعة، الكرم، الفخر، الحماسة والمديح وغير ذلك. خلقت محنته الشخصية علاقة ملحمية مع قبيلته، لتطغى مفردة (**هلي**) على معظم بدايات ابيات العتابة عنده. باتت سمة خاصة ميزته عن بقية الشعراء في الغناء البدوي.

ل**نكتفي هنا بتقديم شواهد من شعر عبدالله الفاضل**ل الذي عُرِّفَ كذلك بإسم (**ساري العبدالله**) بما يؤكد وحدة نظام القيم بين الخيمة والصريفة:

ـ المفردة الأكثر ترداداً وحميمية في كلا الموقعين الخيمة والصريفة: **هلي**.
هلي شالو على مكحول ياشير
وخلــولك اعظام الحــيد ياشير

لون تبكي بكل الدمع ياشير
هلي ماعـــاد لي منهم رجـا
أو:
هلك شالوا على مكحول يا شير
وخلوا لك عظام الجـزر يا شير
ولو تبكي بكل الدمـــع يا شـــير
هلك شالوا على حمص وحمـــاة

ـ المفاخرة بالحسب والنسب:
هلي في راس مرقاب(ن) يشبون
وديـم النار للحرب يشبّـون
هلي ماقادو العطف يشبّـون
خلوهـن حيل لطراد الضحى

وقـوله أيضاً:
هلي مالبّسوا خادمهم سملهم
وبچـبود العدا بايت سم لهـم
كان أهلك نجم أهلي سمالهـم
وكثير من النجـم علّا وغاب

ـ العتاب المكبوت:
هلي شالوا بليل وما أعلموني
وخلوني شـــبيه المعلمـــوني
تمنيتـچ يـــروحي معلـموني
معاهـم لا صميل ولا زهـاب

ـ الدفاع عن الأهـــــل:
هلي مالهـــم بدار الجـــار شينا
وهُم اللي لعظم الضد جار شينا
يفاضل على الجارات ما جرت شينا
ولا وتـــــوا أصحاب على جناب

عليك الراي من فاضل يا ديـرا

وخشم الضد بالمرهــف نديرا
غرم ترعى البويضه بكل ديرا
وغصب عن الشوارب واللــحا

ـ وللغزل موقعه يقول عن زوجته ثريا:
هلا بثــري والدنيا مــسك بـــاه
عطر يا ريحه خدودك مسك بيه
عجـاج الظعن عنبر والمسك بيه
أخير من الـگرايـــا المعطـــنات

الغزل المعجون بالمفاخرة ينشد عبدالله الفاضل:
أريد أگوم وما بالحيل گوةّ
نهـودوا زامات الثوب گوةّ
لفاچـن يا لحانا الشيب گوةّ
و بعد بنفوسنا طرد الهـوا

المناجاة مع الذات:
اريد ابچي على روحي وناحي
بعـيني حليت الدنـيا ونـــاحي
صديـــج المارحم حالي وناحي
شلي بيه يـــوم ردات الـتراب

أتبنى في النقد الفني رأياً يفيد، بأن أي عمل إبداعي، يحمل في ذاته حدثاً أو فعلاً إجتماعياً داخل بيئة معينة. يحمل إمتدادات مجتمعية وأبعاداً تاريخية وثقافية. ذلك الفعل هو إنعكاس لحالات نفسية ـ إجتماعية، عامة كانت أو فردانية. يَتبين من خلال النظرة الفاحصة ما يتفاعل ويتجلى عند المبدع والناقد والمتلقي على المستوى النفسي والإجتماعي حول كل حدث وحالة. **كلما كان العمل الفني راقياً في قيمته وحقيقته الإبداعية. كلما تعددت القراءات وتنوعت له وعنه**. يساهم تضافر جهود أكثر من عامل في توضيح الصورة الإجتماعية والنفسية القائمة في الحدث المعني بجلاء. يكتشف الشاعر خلال التقويم النفسي ـ الإجتماعي صلات وروابط بين المجموعات الإجتماعية. قد لا يراها حتى الباحث المتخصص. **لأن زاوية رؤية الفنان مختلفة في بعض جوانبها**. لدى كل من الباحث والشاعر مساحات رؤية مختلفة، تتلامس عند محيطهما حول الحدث، ولكنهما غير متطابقتين على الإطلاق، بمعنى لكل منهما مساحة رؤيته الخاصة والمستقلة.

تكثّف الشعر الشعبي في جنوب العراق وفي باديته. ظَهَرَ شعراءٌ تميزوا بحس إجتماعي أبعدَ وأعمق من اللحظة القائمة فقط. يصبح السؤال مشروعاً عن حالة الشعر الشعبي في بقية أجزاء العراق. توصلنا الى حقيقة أن الشعر المغنّى حاجة إجتماعية. فهذا يدفعنا الى التحري عن حالته في بقية أجزاء الوطن العراقي.

بات من الثابت أن الجنوب ومناطق بادية الحجر وأطراف من بداية الشام العراقية تحتضن وجوداً شعرياً واسعاً، شعبياً هنا وبدوياً هناك. فماذا عن الأنبار ومنطقة الجزيرة الفراتية مثلاً. هذه مناسبة لدعوة النقاد المهتمين بالشعر الشعبي الى إستخدام أسلوب المقارنة بين شعر منطقتين أو ثلاثة من العراق لإكتشاف عمق الوشائج الفنية والثقافية المشتركة. مثل هذه الدراسات إضافة لأهميتها من حيث الإختصاص، تنطوي على أهمية وطنية وإنسانية وجمالية. فالمقارنة طريقة للتعرف والإكتشاف. ويُعد الإبداعُ بكل وسائله طريقاً مجرباً يخلق أرقى حالات التقارب الإنساني الواعد بين أبناء الشعب الواحد.

يستطيع الشاعر الشعبي الباحث الدكتور خيرالله سعيد أن يمارس دوراً مهماً في هذا الميدان. إن الدراسات المقارنة بين فنون الشعر الشعبي بمناطق العراق تتمتع بأهمية خاصة في الظرف الراهن. هذا لو توفر لدى الباحث متسع من الوقت الى جانب المصادر الضرورية. فالصدق والأمانة يمنحان شاعرنا موثوقية عالية. بديهي أني أشعر بكم الجهد الذي بذله الرجل في موّاله السومري وفي النظر الى الماضي الذي عاني من الكثير من المصاعب والإهمال وغيرهما.

ربما من المناسب وضع بعض الملاحظات العجلى عن الشعراء الشعبيين في الأنبار بالقدر الذي يؤكد عمق **العلاقة بين الخيمة والصريفة**. تضم هذه المنطقة عدد كبير من الشعراء الشعبيين. وتحتل **العتابة والأبوذية** مكانة مهمة في الغناء الشعبي. ظلت الدراسات عن هذا الميدان قليلة. ولم تحظ بالعناية الضرورية. هذا على الرغم من أن لكل مدينة في الأنبار شاعرها وأحياناً لكل قبيلة.

نشير هنا الى بعض الشعراء الشعبيين من غرب العراق، منهم: **بدران أحمد بريگع الهيتي، عبد العزيز حبيب العاني، أحمد بن جاسم العبيدي، جميل الجبوري، طلال سليم آل جعفر، سليم العبد الله، سمران كيصوم الجغيفي، وسام الغريب الجميلي، أسامة المعيوف، أحمد محمد هندي.** وهنا شعراء قريض كثيرون، لا نشير إليهم لأن الإهتمام هنا منصب على مَنْ مارس صياغة الشعر الشعبي، كلياً أو جزئياً.

نذكر بصدد الجهود المبذولة لدعم الشعر الشعبي. **إن جامعة الأنبار** إنفردت دون غيرها من المؤسسات الرسمية والشعبية بعقد عدة مهرجانات للشعر الشعبي. وبصدد التذوق والنفوذ، نقلت وسائل التواصل الإجتماعي قبل أعوام قصيدة **للشاعر سريح الزريجاوي الرميثي** في مهرجان غرفة المحامين في الأنبار. دارت القصيدة حول خصائص أهل العراق. أبكي الشاعر الراحل حينها الحاضرين بحرقة، تحت تأثير روعة القصيدة والروح التي إنطوت عليها. صحيح أن الحديث يجري عن حالة واحدة، ولكنها تساهم في تقديم صورة ما عن الحالة العامة.

أعرض فيما يلي بعض النماذج من الشعر الشعبي لمَنْ يُلقب **بشاعر مدينة هيت**، التي تحتل موقعاً وسطاً بين البادية والجزيرة، هو **السيد بدران أحمد بريگع الهيتي**، علّها تساعدنا في تلمس التشابه بين الشعر الشعبي في جنوب وغرب العراق. وفي الكشف عن العلاقات بين الخيمة والصريفة. (الأبيات وردت في مقال للدكتور **قحطان محمد صالح الهيتي**، نُشر في **الحوار المتمدن**، تحت عنوان "علم من مدينتي، الشاعر بدران أحمد بريگع الهيتي":

يصف السيد بدران فيضان الفرات عام 1927 بقصيدة مطلعها:
آه يـــا ربـــي ولانـــه
منـــك نريـــد الإعـــانـه
من حضرتك سيل جانه
غـرّگـت كـل النبـــات
وختمها:
والمناخ بهيـت صايـــر
من الخوضه الى بصاير
گام صـــاعـد ع المنايـــر
هـاذي كلهـا معـجـزات

وله في المدائح النبوية (**الإذكار**) أكثر من قصيدة كانت تنشد في **حلقات الذكر** في تكية السيد الحلاب، وفي غيرها من التكايا. ومنها قصيدة في عام 1942:
اصبـر لحكـم الـواحـد الديـاني
الله عظيـــم الشـــأن مـالـــه ثانـي
اصبر لحكمه واشـتغل بالطـاعـه
والروح عنـدك يا فقـير وداعـه
ولوذ بمحمـد في قيام الســاعـــه
حاضر أبـو القاسـم على الميـزان

يقول في قصيدة أخرى وفي العام نفسه:
يا حيـدر الكرار أريـد أنخـاكم
ما خـــاب كلمن يحتمي بحماكم
رجـواي بالمحشر هناك الگاكم
يا آل احمـد انتو صيروا ظـلالي

وأخيراً، لم تَطرح هذه المادة مسألة دراسة **العلاقة بين الفصحى والعامية** كهدف لها هنا، لأنها مسألة تتجاوز الأهداف الملقاة على الموضوع قيد الدراسة. لكن تلك المسألة تستحق بذل عناية فائقة وحذرة بصددها. وعليه لا بأس من بعض الإشارات، نقول: كلما تقدم التعليم وتقدمت الأمم تقلصت المسافة بين الفصحى والعامية. لا ينبغي الميل الى تعميم الفصحى أن يشل دور العامية في خلق وعي إجتماعي جديد أكثر تطوراً وإنسانية في الظروف الملموسة. عدم محاربة الفصحى تحت طائلة صعوبة القواعد. أظهرت تجارب مدرسية إمكانية توليد لغة سليمة، لا يشوبها أي خطأ لغوي، من خلال التعليم السليم بالفصحى دون اللجوء الى القواعد النحوية في البدء.

موضوعات الموّال السومري:

يضم الموّال السومري 3333 بيتاً. جادت بها قريحة الشاعر خيرالله سعيد بِجَهْدٍ جهيد. أضاف إليه لاحقاً ملفاً خاصاً، أطلق عليه تسمية: **ملحق الموّال السومري**. يسجل الملحقُ يوميات إنتفاضة الشعب العراقي في الأول من تشرين الأول/ اكتوبر 2019. تزامن إنطلاق الإنتفاضة الشعبية المتواصلة مع إنجاز المـوّال السومري بتاريخ 30 أيلول/ سبتمبر/ 2019. هذا الحدثُ الكبير دَفَعَ شاعراً مرتبطاً بهموم شعبه الى مواصلة تقديم روايته التاريخية الشعرية. **ولكن ميزة الملحق إنه لا يسجل الأحداث برؤية شاعر عاشها قبل حين. إنما يعيشها بكل أحداثها وإيقاعاتها معايشة يومية كل لحظة بلحظتها.**

أخذت الموّاويل، كما هو معروف، أسماءَ المواقع التي تُغنّى وتنتج فيها: **الحلبي، الحجازي، اليمني وغيرها. يرى الشاعر خيرالله سعيد، بأنه على الرغم من تعدد التسميات، يظل الموّالُ في الأصل**، ينطلق من الموّالِ العراقي، الذي إشتهر **بإسم الموّال الزهيري**. يغطي الموّال السومري الأحداث السياسية الهامة، التي مرت على العراق **منذ ثورة العشرين** الى يوم تكامل العمل ذاته، الذي يمكن أن يُطْلَقَ عليه وصف **الملحمة العراقية**، بكل ما في تلك المائة عام من إتساع وإنحسار، تقدم وتراجع، فرح وحزن، إنتصارات وهزائم، وغيرها من

المتناقضات. يتابع الشاعر مسيرة المائة عام (1920 - 2020م). يُسجل أحداثها شعراً شعبياً بكل دأب وصبر. يتمهل حيناً ويندفع أحياناً.

سبقت الإشارة الى أن البند أو الموّال ككل أو القصيدة الشعرية بكل أنواعها، تحمل مضامين فعل إجتماعي. **ينبغي أن يأخذ النقدُ بصددها مسارين إثنين متلازمين:** الأول جماليات الحقيقة الفنية والثاني الرأي في الأحداث السياسية وكامل حركة المجتمع. إقدر عالياً الجهود الإبداعية والجمالية للموّال السومري. هذا التقدير لا يبرز هنا فقط، إنما في كل محاور ومضامين البحث عن القيمة الإبداعية لجهود الشاعر خيرالله سعيد.

أما في النظرة السياسية والإجتماعية للبيت الشعري، فلا يمكن تجاهل نقاط الإتفاق والإختلاف بيننا في أكثر من مجال وقضية. صحيح أن الحالة السياسية وحتى الإبداعية عندنا، وفي بلادنا، بالغالب لا تحتمل الإختلاف، بسبب ثقافة إلغاء الآخر عند الإختلاف. تقع في هذا الميدان أو الموقف مهمة كبيرة أمام جميع المعنيين، وهي كسر حالة إلغاء الآخر عند الإختلاف، أو أقله التمرد على هذا الحالة البائسة، التي أنزلت أفدح الأضرار في الثقافة الوطنية، أو عند قراءة أحداث التاريخ، أو حتى في التحاور السياسي بين أبناء الطرف الواحد.

من المفيد الإشارة الى أو التوقف عند نظرة المؤلف والشاعر الى **جهده الواسع في الموّال السومري، الذي نزفه قطرة قطرة بصدق وإخلاص**. يقول بالنص: "وقد اعدتُ تشكيل المشهد التاريخي - السياسي لهذه الأحزاب عن طريق الشعر الشعبي، **وهي أوّل محاولة تاريخية إبداعيّة، تؤرّخ للسياسة من خلال الشعر في العراق، إذا لم تكن في بقية البلدان العربية، بمعنىً آخر، أن الموّال السُومري، هو بحث سوسيولوجي، كُتِب بلغة الشِعر لا بِلُغة النَثر، وهذا هو الجديدُ فيه".**

يصف الشاعر كتابه الحالي أو ديوانه الجديد، بأنه **أوّل محاولة تاريخية إبداعيّة، تؤرّخ للسياسة من خلال الشعر الشعبي في العراق،** إن لم تكن في بقية البلدان العربية. لا إعتراض على أنه نوع من البحث في سوسيولوجيا السياسة. نعم إنه جهد شاق وعسير الولادة. وإنه تمسك في الوقت ذاته بالصناعة الجمالية ومعاييرها الدقيقة. أما الإفتراض بأن الموّال السومري هو المحاولة الأولى من نوعها، فيحتمل الكثير من التدقيق. **فكل قصيدة شعرية تروي حادثاً ما، ينطوي على معنى سوسيولوجي،** أو على الأقل تقرأ تلك المحاولة عبر التحليل السوسيولوجي للعمل الإبداعي. أما على صعيد البلاد العربية ككل فقد جانب ذلك الإستنتاج الحقيقة الواقعة. فماذا نقول عن (**مجنون ليلى**) لأمير الشعراء **أحمد شوقي،** أو لملحمة عبد الله الفاضل رفيق كلمة (هلي).

إن أية نظرة خاطفة، ناهيك عن النظرة المتفحصة، على موضوعات الموّال السومري تكشف بالضرورة **عن حجم وثقل ونوع العمل الضخم الذي كُرِّس له**. وستثير الكثير من المناقشات حوله. خاصة أن بعض الحالات السياسية والإجتماعية لا تتضمن قوانين محسومة تتصف بالإطلاقية، وغير قابلة للأخذ والرد.

تتغير النظرة الى الحدث السياسي أحياناً، حين يُنظر إليه بغير ظروفه التاريخية الملموسة، أو على الأقل تصبح ملامحه أقل وضوحاً. يكون النقاش واسعاً ومتضاداً، وربما حاداً، عند تناول موضوعات معقدة، كتلك التي تصدى لها الموّال السومري، بجرأة وحسم دون أن يفقد جماليات الشعر الشعبي. مثل: **مرحلة ثورة 14/ تموز/ 1958، بروز خط آب عام 1964 في الحزب الشيوعي العراقي، مشاورات وقيام الجبهـة الوطنية والتقدمية عام 1973 - 1978 مع البعث، الحركات الثورية في الأهـوار، تجربة حركة الأنصار الشيوعيّين في كردستان/ العراق بين الأعوام 1980 - 2003، تجربة غزو العراق عام 2003، الموقف من الدستور العراقي، الذي صيغ بعد الإحتلال وتداعياته، هذا الى جانب ما وصفه الشاعر بإسـقاطات ذاتية على حالات معاصرة ... وغيرها.**

تملك الجهود التوثيقية الشعرية والشروحات والهوامش عليها لخيرالله سعيد قيمة مهمة على مستوى تسجيل الأحداث وتفاصيلها. على سبيل المثال لا الحصر، تدون أسماء أعداد غير قليلة من أبطال الشعب العراقي، الذين شاركوا في الأعمال الثورية المختلفة، مثل: **إنتفاضة 3/تموز/1963 التي عُرفت بحركة حسن سريع. كذلك عن بعض مناضلي الكفاح المسلح في منطقة الأهوار. كما إن قصة نقل السجناء السياسيين، من سجن رقم واحد بمعسكر الرشيد في بغداد، الى سجن نقرة السلمان في صحراء السماوة، تمثل صورة بشعة للظلم وقدرة عجيبة للمناضلين على تحمل قسوة الظروف. عُرفت تلك العملية فيما بعد بقطار الموت**. لقد جرى نقل السجناء داخل عربات قطار مغلقة لسجناء يشكلون خليطاً من الشيوعيين، العسكريين منهم والمدنيين، وكذلك عدد من القاسميين. إن تلك العملية التي طالت المئات من خيرة أبناء الشعب العراقي سجلت روايات موجعة عن المعاناة الإنسانية وقسوة الظلم وروح الإنتقام.

إن التوقف والتحليل لأمور أخرى مثل المواقف الفكرية للحزب الشيوعي العراقي، وتقويم خط آب 1964، والسجال الداخلي حول العمل الحاسم والثورة الشعبية. تتطلب الكثير من التدقيق والتأني. هناك أمور تتعلق بالعاطفة الشعبية، التي تخلط بين تقدير التضحيات ومناقشة أساليب الثورة. مثل هذه الإمور تتطلب دراسات موسعة، وليس أحكام قطعية. توحد روح الدراسات الجادة القوى، وعلى الضد من الإحكام القطعية التي تقطع الطريق أمام السير في

الطريق الأكثر وضوحاً. إن أفكاراً مثل البؤر الثورية والإنطلاق من الريف، وما الى ذلك تكون ضارة للغاية إذا ظلت بحدود التناول العاطفي القطعي والمحسوم. هنا الكلام يدور عن الحالة الوطنية ككل، وليس عن **الموّال السومري تحديداً، الذي سلك طريقاً وعراً يحسد عليه**. وفي بعض المواقف حَلّت حالات غضب صارم. لولا إمتلاك الموّال ناصية الصدق لذهب أبعد من المطلوب للتعديل والترميم بنفس طويل. في بعض الأحيان الصدق لا يعني أن أحكامه دقيقة وصحيحة على طول الخط. هنا أشير الى موضوعات عامة تتطلب سجالات فكرية وسياسية وإجتماعية معمقة، قطعاً لا يستوعبها هذا المقام، ولكن هناك ضرورة فنية وسياسية تتطلب عدم التجاهل. هذا كاف كما أعتقد في هذا المقام.

شغل الحزب الشيوعي العراقي الحيز الأكبر من مساحة ومادة وإنشغال الشاعر. تلمست مرارة الحرص في نقده، الذي يبدو جارحاً، إذا كان المتلقي لا يملك خبرة ودراية في حياة الأحزاب، أو كانت حياته الحزبية من النوع السهل. إن إدراك ردود أفعال الأعضاء الأكثر إخلاصاً تعتبر من المهام الكبرى، لأي حزب يريد أن تكون له مساهمات مستقبلية. إن جوهر ما يطرحه الشاعر والكاتب في نصوصه أوحى لي، بأن الغضب من النوع الذي يمكن وصفه **بغضب المحبين**. أما الدائرة التي شهدت كل ذلك الغضب لم تكن خارج إطار الأفكار المشروعة، كما لا تحمل أي نوع مما يمكن أن نسميه بالشطحات العفوية أو المتعمدة. ومن خلال تجارب كثيرة، أستطيع القول بأن المناخ العام لو كان سليماً، لما فرط بإنسان جل مساهماته وأفكاره ونتاجاته تصب في فكر واضح وموقف منحاز بوعي للفقراء والكادحين. هذه مسألة باتت عامة لا تعالج بجهود طرف واحد مهما بلغت قدراته. إنما تعالج حين تكون هماً عاماً وواعياً.

كما أرى من الخطأ الكبير التعامل مع المبدعين، في كل حقول الأدب والفن وحتى العلم، على غرار التعامل مع السياسيين أو المتعصبين لأسبابٍ مختلفة. نظرة الشاعر غير نظرة السياسي. ينتظر معظم السياسيين في الغالب نتائج فيها مصالح لهم. تكون ضيقة أو عامة، راهنة أو مديدة، تتنوع وتقترب من الخير أو الشر، بقدر درجة نظافة ضمير صاحبها. أما المبدع الحر فهو في الغالب الى جانب شعبه والفقراء منهم بصفة خاصة. طبعاً وفق تصوراته هو. تكتمل سعادته بسعادة الناس، وليس على حسابهم. ولكن **هذا لا يعني أن المبدع على صواب على طول الخط. ولكنه صادق على طول الخط.** هذه هي ميزة الفنان أو الأديب عندما يكتب عن وفي السياسية. فكيف الحال إذا كانت الكتابة شعراً، وفي كل قاعدة إستثناء.

من الضروري منح المبدع الحرية الضرورية في القول والإنتاج. وميزة الإبداع أن رسالته مكشوفة وواضحة وجميلة. ولا تحب التستر عما يجول في الخاطر والضمير. يملك المبدع الحقيقي جناحين يحلق بهما عالياً. يرى دائرة أوسع وعالماً أرحب. يفرش جناحيه في الهجير،

ليمنح الأرض ظلاً أوسع من جناحيه. وتمنح حركة الجناحين في الأيام القارصة البرد موجات تتحلى بِحرارةٍ دَافِئَةٍ. بديهي أن تضم ساحة الإبداع الى جانب المبدع الأصيل مبدعين منهم مَنْ هو غير منسجم مع إبداعاته، أو مَنْ يضع نفسه في خدمة أسوأ السياسيين، ولكن الحالتين الأخيرتين هما الإستثناء في عالم الإبداع والمواهب العالية. فالمبدع الذي يحترم إبداعه يقف دائماً مع شعبه.

إعتبر الشاعر نفسه أنه خاض مغامرة من خلال تجربته الشعرية الحالية. وصفها بالثانية من نوعها خلال حياته الشعرية في مجال الشعر الشعبي. بعد قصيدته الملحمية (**جبت كُـل العِــراق وجيت**) التي كُتبت أبياتُـها على القافية، وبلغت حوالي **1580 بيتاً**. وهي، كما يعتقد الشاعر، كانت إختباراً جدياً لقدرته وموهبته.

بعد إطلاع الشاعر خيرالله سعيد على تجارب تفيد بمقدرته الخاصة، وغنى اللهجات العامية في التعبير عن أدق المشاعر الإنسانية. أدرك على حد قوله: **أن (لُغة العامة)** تصلح للخطاب الشعري. وظَـلّ هذا الأمر (جرس إنذارٍ) في ذاكرته، يظهر عنده بين لحظة وأخرى، على الرغم من أن بداياته الشعرية كانت مع الشعر الفصيح.

يرى الكاتب في الموّال أحد أبرز الفنون الشعبية في العراق. يقدم لنا الشاعر أسباب ومبررات إختياره له على النحو التالية:

1- هو الأعرق والأجمل والأكثر حضوراً في الوعي الشعبي العراقي.
2- هـو الأكثر شيوعاً في الغناء الشعبي العراقي.
3- هـو الوحيد من فنون الشعر الشعبي العراقي، الذي لا يقبل الإضافة عليه أو الإنتقاص منه بأيِّ بيتٍ شعري، بل يقبل الإضافة فقـط بالبـند - وهو ثلاثة أبيات مجنّسة، وتلك واحدة من سماته الفنيّة المتعالية.
4- هو فَنٌّ يقبل النظم في الشعبي والفصيح. وفي الموّال السومري شواهد على ذلك.
5- وفي الموسيقى، هـو يُؤدّى في أرقى أنواع المقامات العراقية، لا سيما مقام أو (طور المحِـمّـداوي).
6- له ميزة التأثير عند السماع على المتلقي، حيث يجد فيه بعض موساة روحه المعذّبة.
7- هي أُمنية أن يغنّيه كل مطربي العراق.

يعتَمد الموّال السومري في مادته على التاريخ. وعلى مـا انطوت عليه أحداثه من افرازات انثروبولوجية وسوسيولوجية. تبدأ تأرخـة أحداثه تحديداً في 30/حــزيران/1920م. حين هب الشعب العراقي بثورة غاضبة وواسعة ضد الوجود البريطاني في العراق.

إستعرض الموّال تاريخ معظم وأهم الأحزاب السياسية العراقية، منها: الحزب الشيوعي العراقي، حزب البعث العربي الإشتراكي، الأحزاب والحركات القومية الكردية، وأحزاب الإسلام السياسي. جاءت موضوعات المّوال السومري حسب الترتيب الأحرف الأبجدية. بلغ عدد الموضوعات الشعرية نحو 30 موضوعاً أو فصلاً، أنقل عن كل فقرة من هذا السفر الكبير بعض المقاطع الشعرية، هي:

آ- تحت ظلال اللّوحة السومرية:

عالطين اسمي انكتب ـ باوّل حرف سومري
وبيّه الحضارة بدت ـ وعهدي انعرف سومري
وأوّل رُقيمٍ ظهر ـ يذكر عشق سومري
* * *
ومن سومر اتنقِّلت ـ أس الحضارة ومشت
وبابل اجت بعدها ـ وعالدرب نفسه مشت
واكّاد كَمّل نَفِس ـ بسور المواكب مشت

ب- مرايا ثورة العشرين:

وتاريخ بابل صُفى ـ إلنا علامة ورمز
وتجسّد بفعلته ـ لكل الحواضر رُمَز
وبذهان كل الشعب تيبقى دليل ورمز
* * *
فعل وحضارة واسم ـ وتاريخ اله نازله
تعَوّد شعبنا النصر ـ بكل واقعة ونازله
بعشرين ثار الشعب ـ ضد الغزو ونازله

ج- البدايات الأولـــــى:

عمية الخلگ والجهل ـ زايد عليها بِشر
والناس بين المُدن ـ بين الخُرافة وبشر
هذا يگول الصدگ ـ والثاني يضحك بِشر
* * *
واقطاعي چان الوكت ـ يساند حُكم مملكة
واميّة كل الفلح ـ تقدّس حُكم مملكة
والغالبة تعتقد ـ مَلِك وحُكم مملكة
* * *

والفِكر أصله وطـن ـ مِنّـــه والـــه قانون
قالها (فَهد) الشهم ـ وصارت وعي وقانون
واللّي خطـــاه الفِهم ـ ما يعرف القـــانون
* * *
الوطن قبل الفِكر ـ قبل الشيوعي انرسَم
والمنجل وچاكوچ ـ فوگ الروايا انرسَم
بـالوعي وبالذاكرة ـ الوطـن بينا انرسَم

د ـ بدايات الحركات السياسية والشبابية ـ نيسان 1948:

وهذا الشعار انرِسم ـ أصبـح شِعار وثِبَـــت
وسَجّلت صُحُف الحِزب ـ هاذي الحقيقة وثبت
والشَعَب غَنّى بفـــرح ـ بهـــذا الشعار وثِبت
* * *
وبالوثبة صار الصدى ـ بساحة سِباع وجسر
وبِســـم الشبيبة انعرف ـ نيسان وثْبـة وجسر
وَوّل شهيـــدة ارتـقـــت ـ بِسم الشهادة وجسر

هـ ـ مرحلة ثـــورة 14 ـ تموز ـ 1958:

واللّي انتمى للحزب ـ عَد ذاك اله مرجله
وعزمٌ شديد وفَخر ـ يغـــلي شُبه مَرجله
وساعة الحسم انبرت ـ وتموز اله مرجَله
* * *
وبغداد وكت الفَجـــر ـ ولِدت لها ثورة
واصبح الجيش وشَعب ـ متلاحم بثورة
واسم الزعيم انعرف ـ مشْهودة اله ثورة

و ـ انقـــلاب البعـــث عام 1963:

وهلهَل شُباط الشؤوم ـ وتغَـــيّرت الايّـــام
وصار انقلاب البَعث ـ وسودة صُفت الايّام
بنص الإذاعـــة انعـدم ـ قـــاسِم بعـــد أيّام
* * *
هِتكوا أعراض البَلد ـ شِلّة حرس قومي
بسم العروبة ادّعوا ـ وصار الوعي قومي

چذّاب هذا البَعث ـ وكلمن صُبح قومي

ز ـ حـركـة حسن سريع وقطــار المـوت 1963:

اللّيل عَسعس علي ـ واحكم علي وِحدته
وجـروح رَبـعٍ إلي ـ ما هَيّدت وِحدته
والجيش بيهِ جَــمع ـ وقانون الـه بوحدِته

* * *

لاچن هُموم الـوطن ـ هَيّجت عقلي وفَرح
رغـم الألم والبـچـي ـ زايـد بروحي الفَرح
وقَرّرت أنهض وشِـد ـ واگلب حِزنها فَرح

ح ـ بروز خط آب التصفوي في الحزب الشيوعي العراقي عام 1964:

وردْنا الحِـزب يـنتبه ـ يراجع سياســة المُـضـت
يداوي جراح الشَعب ـ ايضـْمد اجروحه المُضت
لكن ألــف يا حِيــف ـ بعض العـرايض مُضــت

* * *

وثْـبـرّأت مــن حِزْبهـا ـ بعض الكوادر غَفُل
وُصـْلوا لِحَــد السأم ـ لَـمّــن حِزبهُم غُفَل
وراحَت ضحايـا كُثْـرُ ـ وشَـط بفكرهُم غُفَل

ط ـ البعث ومشاورات الجبهة الوطنية التقدمية الزائفة عام 1973- 1978:

واحْنا بـدَرِد هالأمــــر ـ قَشْمر علــينا البعث
وجانا بخبر جَـبهِته ـ يصـفي الـگلوب وبَعَـث
ونادانا بِسـم الوطـن ـ وعِــدّة رسـايـل بَـعَـث

* * *

واصبحنا جبهة عَــمل ـ ونريد نبني ونِشِد
وكُل القِوى اتعاضِدت ـ رادت محبّة ونِشِد
وِتـْنسمينا الفَــــرح ـ بكل الأغـاني نِـشِـد

ي- الحركات الثورية في الأهوار:

وگمـــنا عليها بعَزم ـ وبرواح مثــل الجِبَــلْ
مثل الأُسـود السَرت ـ متـــهاب زُور وجَـــبَلْ
وعزم الشجاعة انتِصَب ـ بطين المروءة انجبلْ
* * *
ردناها ثـــورة شَعَــب ـ تهِز العِـراق وتِـرن
وكل شَخص يسمع بها ـ وسط المسامِـع يِـرِن
وهِيل المضايف عطر ـ وهاون الـگـهوة يِـرِن

ك- تــداعيات لحــالـةٍ قـد مضت:

وردّينا لحظـــة عِسْر ـ كانت بِنـا شاخِصة
وجرح البعَث ما شفـا ـ ونْدوب اله شاخصة
والعين حَـمْرة وتِهل ـ وتنْظر بقت شاخصة
* * *
وايّام راحت وجت ـ بعد الزعيم ومضت
وطعنات بينا كُثُر ـ بين الضلوع ومُضت
وبين اغْتيال وسجِلْ ـ واحكام بينا مُضـت

ل- شجون الجبهة الوطنية وحضورها المؤلم في الذاكرة العراقية:

واثْواطى خَـط الحِزب ـ ويّه الحكومــة گعَد
وما بين أخـــذ وعـطا ـ وروحات بيها گعَـد
عاف النضال المُضى ـ وللجبهـة سـار وگعَد
* * *
واحْـــنا خُملنا بَعَـــد ـ والعَقِل مِنّا غُـفَـل
وآمَنّا بيهُم صـدگ ـ وهُمّه بحـچيـهم غَفَل
خِدْعَوا شعبنا بخُبُث ـ واخْذونا ساعة غَـفل

م- محطّة دمشق 1983 - 2003:

ومعدن البينا انكِشـف ـ وبان التَنَك والذَهَـبْ
وشِفنا رؤوسٍ هَـــوَتْ ـ وچـنّا نعِـدها ذَهَبْ
وتالي اطلعت قَـشمرة ـ وكل خير منها ذهَـبْ
* * *

واندَمْنا يا حَسرتي ـ عالصار بينا وجَــرى
والدَهَــر شَد قَسْوته ـ بناره وعلـــينا جَرى
وهذا الجَرى وصار ـ قطعاً من دمانا جرى

ن- عِتاب مكتوم:

كلشي جمــيل انكسر ـ بالروح واصبح خبر
ولْ مادرى بوضعــنا ـ مِيّــز بشوفــه وخبر
وطَشّتْ اعلوم الحِزب ـ ما بين صُحف وخَبر
* * *
واجْفــيت يا صاحِبي ـ بلايا جِناية وذَنِبْ
وچنتْ اعتقد تِفْتِهم ـ أسباب زعلي وذنب
راس الشليلة انبِتر ـ ونته ارحلت للـذَنِبْ

س- تهويمات على تاريخٍ مضى:

يا مَن على بابُكـــم ـ حَط النضال وسَرجْ
وفرسان ليهم صَدى ـ شَدّوا خيُول وسُرُج
واضْوَوا على الكون ـ شُـعْلة حياة وسُـرُج
* * *
بابِل أرض شَعــبنا ـ وتَنْزيل بيها وَرَدْ
وانْبِتَتْ فَخرْ ومَجد ـ وتاريخ ليها وردْ
وسَرجون بيها بنى ـ وعَلّق جناين وَرِدْ

ع- تجربة الدراسات الحزبية:

بالشـــام وبغــيرها ـ بينا القلاقِـل بِدتْ
والثَرثرة اتزايدتْ ـ وكادر دسايس بِـدَتْ
وزادت هُموم الحِزب ـ لمّن شلايل بِـدت
* * *
واسرار كل الحِزب ـ تْبثها مجالس سُكـر
وكل السُوالف بِدَتْ ـ ما بين مَزحة وسُكر
وحتى چبير الحِـزبْ ـ يُبرطها لمّــن سِكـر

ف- تجربة حركة الأنصار الشيوعيّين في شمال العراق 1980 - 2003:

دورات عَسْكـر بِدت ـ وآمـــال تِنـْشـــد نَصـر
وروح النضال اسـْعرت ـ وكُـلـْنا نسـير ونَصُـرْ
من كل شتات وُوّطـــن ـ أسـرار بيـنا نِصـــرْ
* * *
واعمـــار چنهـا وَرِد ـ لَبّت قرار ونِدا
وتـْسـابقوا للعمَـلْ ـ وجـْباه بيهـا نِـدا
كُل حُـبّهم للحزبْ ـ وكل گلب چن ونِدا

ص- تجربة غزو العراق عام 2003:

جيش الأعـادي حـچـه ـ محّـــد اله نابَـلـه
من حيث حُكم البعَث ـ طـگ وكســـر نابَله
واشْردوا تحت القَصُف ـ چـنهم عـصف نابَله
* * *
وحـچـي العناتِر صُفه ـ چذب بـچذب ما يصف
ولاذوا ورا بعضهـــم ـ مثل القـــنادر تُصَفْ
وثولونا من حَـچيُهُـم ـ بـچذب المـچارم تصـف

ق- تغريدات على الدستور العراقي وتداعياته:

الدسـتور راس الوطن ـ ينظم العلاقة وعَملْ
ما بين سلطة وشعب ـ يداري الأمور وعمَلْ
وفـــق الشرايع عَدِل ـ ويســـير بيهـــا بعملْ
* * *
ودستورنا نص رِدن ـ بيه للطـوايف حُـكُم
بِسم المذاهِب عِلَتْ ـ وهيَّ التسَير الحُكم
وهـذي العِلاقة بِـدتْ ـ وامريكا هي الحَكم

ر- مُناجاة لإشخاصٍ في الذاكرة:

ياصاح جَـــس الـگلب ـ واهات بيها نِـدا
وشوگ النحبهم عِسَر ـ وما فاد بيهم نِدا
والـگلب أيّس بعَـــد ـ ماعـاد الـه من نِدا
* * *
واطوينا صفحة مجـد ـ چـانت لِنا ناظـرة

وتاريخ سَجّل كُـتب ـ ولينا أصبحت ناظـرة
ولْ ما يشوف الـگلب ـ عاطِل بصَـر نـاظرة

ش ـ تأمُلات خارج سياق الحَدث:

شَبّـينـا بيـن الهَـوى ـ وبيــن النضالِ وَشَـبْ
والفَرح شَـع وْوّسـع ـ واجــتاح بينــا وشَـبْ
إنضَـمِّد جـروح المضى ـ ما بين صبـرٍ وشَبْ
* * *
چنّا نريد الهَــوى ـ مهما يكون الشَـرطْ
وسِرنا بهذا الدربْ ـ وجروح بينا وشَرِط
واللّي شرط بالهوى ـ حَتماً يصير الشَرط

ت ـ رؤيا مُعاصرة:

ديرة وصُفت مَزبلة ـ واحــزاب بيـها لِـچـتْ
بالأمِس كانوا بعَــث ـ واليـوم ديني لِـچــتْ
وخِرش الـچـعاب انْبرتْ ـ وهسّه علينا لِـچتْ
* * *
إنـْدوب چـانـوا جَمع ـ لا صُـول بيهــم نِـگـد
ولا شِـفْنا بيهم أسـن ـ يلـچـي بـچـعابـه ونِـگد
كومــة خِرش من گبل ـ چــنّا عليهم نِـگِـد

ث ـ إسـقاطات على منهج النقد السياسي:

إشْهِر سلاح النـقِـد ـ لكل ظاهِـرة صادِقــه
وصاحب لكِلمن وَفي ـ وصاحِب حِلم صادقه
والصِدق مِيزة وفــا ـ للّي عِــرَف صادِقَـه
* * *
واكتب بمنهــج رؤى ـ لو ناقَشت مسأله
وسِير بركاب النَقِد ـ وفـق النَهِج واسأله
واللّي حِـرف رؤيتــه ـ مَنـْشِدعليه مَسأله

غ ـ أحداث سياسيّـة لما بعد 2014 – 2018:

جَت الحقيقة وحـچـت ـ وگالت قروني عَـكس
واللّي تهـجّى وعِرف ـ يعرف معـاني العَكس

والعِكَس يعرْف عَدلْ ـ ويريد يمشـي العكس
* * *
وانجلى هذا العكس ـ بتطبيق شرعـة وعَمل
لا خِدمة بانت عَدِل ـ ولا وعي بخدمة وعمل
وصارت الرشوة بفلس ـ والكُل عليها عِمَل

ض ـ أحداث الغزو الداعشي وتداعياتها 20013 – 2018:

بعد السُقوط انجلت ـ حالات جذبٍ وشَد
واتوضّحت بالحُكُم ـ نزعة طوائف وشَد
وكلمن لـگـف زاوية ـ يفتل احباله وشَـد
* * *
واتوضّـحت للخَـلـگ ـ صيحات شَدِّ وحـرب
السُنـّة وگفت عـرُض ـ والشيعة سيف وحرب
وانشرخ وعي الشعـب ـ ما بيـن قَتل وحـرب

ظ ـ غايات لم تُدركك:

إلتـَم المضيف وبِـدت ـ سـهراتنا الساهِرة
وسألوني أهل الهوى ـ عيونك بِدت سـاهِرة
گلت الجبرني إسـم ـ ليـه الخَـلـگ سـاهِرة
* * *
مِن يوم آدم حِـچـه ـ واعـرَف أسامي وراء
بالعيـن إسـمه بِدا ـ وثاني حَـرف بـالراء
وسـومر بإسمه انعرف ـ هو الذي قد رآء

ذ ـ إسـقاطات ذاتية على حالات معاصرة:

أصـحاب چـانوا بِـلي ـ بيـهُـم حَـميّـه ومَـرگ
إيـطيب بيـهُم وَكِـت ـ بـذاك الـزمـان الـمَـرگ
وهسى البـقـوا نص رِدن ـ والـزاد ما بيـه مَرگ
* * *
واللّي مَـرگ لـم يَـعُـد ـ واللّي إجـا بيه لَـثِـگ

واللّثـگـة صارت بـُگـع ـ في كـُل مـچان و لَـثِـگ
والـچـــان بيهم شَرف ـ بيّـــن عَليهُـــم لَثِـگ

خ- خارج السياق وفي حالات تجلّي الوجـــد:

مد السَرى وانحِـدر ـ ومال بيـنا ووّگـف
فـوگ الربوع التي ـ طال العِتاب ووّگف
واشرف على مَنزلٍ ـ للضيف كانت وگف

* * *

وطَلّت صـُور من نُحِب ـ ووجوه چنها بَدر
لم نِبْتدي بـچلـمةٍ ـ ودَمْعـك علينا بِـــدر
وضَمّـينا كلما مُضـى ـ والشـوگ بيـنا بِـدر

م- مجئ أصحاب اللّحى:

اشـچـندوب يهل الوفا ـ يِـلعَـب علينا وَكِت
واحنا بـوسَـط غابةٍ ـ إيسيطر عليها بوكِت
ويا هُو اليجي يِـدِّعي ـ هُـوَّ أمـــام الوكِـت

* * *

شَـــد الخُبُث رايتـــه ـ مِن يـــوم اجَتنا اللّحى
ويَ الزمن صاروا صُلح ـ واكلوا فسيل ولُحى
وأفسِدوا كُل مُعتَـقَـــد ـ في كل خطـــاب ولحا

لا شك في أن الجهد المبذول في هذا العمل الكبير مميزاً. أرى من الضروري تناول موضوعات الموّال من زاويتين إثنتين، بل إن طبيعة العمل فرضت ذلك. **الأولى تقويم العمل كجهد بحثي وإبداعي، والثانية من زاوية الشعر الشعبي وطبيعة الأحكام السياسية من خلال الإبداع الشعري.** ينبغي خلال تقويم الأحداث السياسية ذاتها، الأخذ بنظرالإعتبار إن صاحبنا تناولها بأصالة صادقة. أرى من الحق الطبيعي للشاعر أن يمتلك رؤيته الخاصة. ولكن هذا الحق يجد نفسه أمام حقيقة الإجتهادات الأخرى. إن هذه الدراسة ليس بوسعها أن تقف أمام كل الموضوعات المطروحة إتفاقاً أو إختلافاً.

لا أحد يلوم شاعراً يتغنى بنماذج البطولة وكرامة التضحيات. بل حتى كشعب مازالت للمغالبة والفخر والتعصب والمبالغة مواقع في تكوينه، أملتها ظروفه العامة الملموسة. إن الصورة الزاهية التي يرسمها الشعر عن بعض الأحداث السياسية تكون جميلة بموضوعها في ذاكرة الشعب أو عند أحدى قواه. ولكنها في كل الأحوال، وعلى الرغم من طبيعتها الفنية تفتح الباب لمناقشات ذات طبيعة سياسية وسوسيولوجية. على سبيل المثال هل بعض البطولات كانت مدروسة بعناية تخطيطاً وعمقاً فكرياً وسياسياً. هل هي ثورية أم نزعة مغامرة. ولكي لا يكون التقويم جائراً لا يحكم على الفعل السياسي من خواتمه فقط.

إتبع الشاعر الكاتب منهجاً سليماً ومبرراً، في تقريب النص الشعري الى القارئ والمتلقي، الذي لا يملك دراية كافية بلهجات الجنوب والوسط العراقي. فأعد حاشية لشرح معاني مفردات النص. كما ربط ووثق الأحداث بمرجعيّاتها السياسية والتاريخية. هذا جهد كبير يستحق الثناء. ويكشف عن روح علمية متأصلة.

يقول الشاعر عن تجربته الحالية. إنه سعى من خلال إقتحامه لهذا المركب الصعب، **أن يثبِت أهمية الموّال في التـراث الشعبي العراقي**، ويختبر مقدرته على النظم في هذا الميدان الشعري، ويدفع شعراء الموّال في العراق على مُجاراته في هذا النظم، **أراد أن يكون أوّل شاعرٍ عراقي بلغ هذا الشـأوَ في المطاولة الشعرية في نظم المـوّال.**

من الصعب الإدعاء بتحقيق التغطية الكاملة، لسرديته عن الأحداث شعراً ومعطيات، بسبب طبيعتها وحجم المعلومات المحيطة بها، التي إستقاها الشاعر من عدد كبير من المصادر المتنوعة، خاصة في إطار شرح المعاني. ركزت بالدرجة الأولى على المبحث الخاص بالموّال وعلى الموّال نفسه وتناولت الملف كعمل مستقل.

لا ينبغي هنا وفي كل الأحوال، تجاهل الجهد الكبير، بل الكبير جداً، في شرح معاني الكلمات الشعبية. الذي إندرج بعد كل مقطوعة أو حقل تحت مسمى "**المعاني والإحالات والهوامش**". وهو في الواقع دراسة تاريخية تفصيلة للمسيرة التاريخية للعراق وشعبه وأحزابه السياسية. وهو من أكثر الأجزاء حاجة الى مناقشات معمقة مع المؤرخ خير الله سعيد. لا نقاش على ضخامة الجهود المبذولة. لكنه في الوقت نفسه يتطلب أوسع حملة لتبادل الآراء، في ما ينطوي عليه من خلافات في التقدير وإتفاقات أيضاً، على العديد من القضايا المطروحة. أعتقد أن الكاتب نفسه يعرف ما تتطلبه مهمة مناقشة وتحليل تلك المواد. أتمنى أن يساعدني الوقت على تناولها أو أن يتصدى لها بجدية آخرون. إن مثل تلك المساهمة تكون أغنى إذا كان كاتبها مختلفاً مع معلومات ومنهج كاتبنا خيرالله سعيد. ليأتي دور الصراع الفكري في

إغناء فهم الحالة الإجتماعية وطرائق التعبير عنها.

أقول كلمة أخيرة لا بد منها في هذا الصدد. إن جهد شاعرنا في الموّال السومري ضم أربعة حقول، هي: مبحث في الموّال، الموّال الشعري نفسه، المعاني والإحالات والهوامش، وأخيراً ملحق الموّال.

يوميات الإنتفاضة في الموّال السومري

لم يُبْعِد نزيفُ الشعر، وكذلك متطلباتُ البحث العلمي للكاتب الشاعر د. خيرالله سعيد عن هموم شعبه الكبرى، وحتى الصغرى منها، بل كانت تلك الهموم تأخذ دائماً موقعاً متميزاً عنده. تركت الأحداث الوطنية الكبرى كتاريخ أو معايشة أو واجب عملي، أخاديد عميقة في بنائه الفكري والثقافي الداخلي، وفي وعيه وذاكرته.

تظهر، كما هو معروف، في كل ذاكرة قمم عالية في البدء. تحمل الذاكرة شحنات موجبة وسالبة أيضاً. تُكَوِّنان معاً ضوءً عند العقل اليقظ المتوثب. أشار الشاعر إليها بإنسيابية واثقة. حملها إلينا موّاله السومري: كان البدء في الذروة العالية ثورة الشعب العراقي في 30/ حزيران ـ يونيو 1920، إنتكاسة 5 حزيران ـ يونيو 1967، إنتصار ثورة 14/ تموز ـ يوليو 1958، إنقلاب 8/ شباط ـ فبراير 1963، الأحزاب السياسية في البلاد، وذروتها حزب فهد ـ الحزب الشيوعي العراقي، الذي إستحوذ على إهتمام الباحث الشاعر الكادح في الحالتين: الإتفاق والإعتراض.

بديهي أن مَنْ واجه الدكتاتورية بصلابة وشرف، أن يثير الإحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 سخطه وغضبه. **أدان بوضوح تام الإحتلال وكل مَنْ تعاون معه**. فضح جهود الإحتلال ومحاولاته لتشويه كل ما هو جميل في تراث ونضال شعبنا الغني بالمآثر المتنوعة والمتواصلة. ونبه الى مخاطر الطائفية والمحاصصة، وتولي الجهلة واللصوص لشؤون ومقدرات البلاد. وفضح كل محاولات التدخل في شؤون الشعب العراقي من كل الأطراف المعنية، التي تعمل على تركه ساحة مستباحة، لكل مَنْ هب ودب، الى درجة باتت فيه حتى الدول "المجهرية" تبحث عن مصالح لها في إستغلال العراق وشعبه.

عجزت كل تلك المظاهر السلبية الطافية على سطح الحياة اليومية في العراق، أن تزرع اليأس في نبض الشاعر الشعبي أو في ضميره أو آماله. بانت الأصالة والقدرة على التنبؤ والحدس الثوري في مقدمة كتابه. التي كُتِبَتْ قبل فترة طويلة من إندلاع إنتفاضة الشعب العراقي في الأول من تشرين الأول/ إكتوبر 2019. جاء فيها: "وقد يئِسَ أبناء الشعب

العراقي من هؤلاء السياسيّين، فنشطت الإضرابات والهَبّات الجماهيرية العنيفة، بغية إعادة كرامة الإنسان العراقي الى الواجِهة".

تَمَخَّضَ صبر العراقيين وغضبهم وقسوة الزمان عليهم عن إنتفاضة أثارت الدهشة، ثم الإعجاب، ثم إعادة الإعتبار الى وزن الشعب في المعادلات السياسية بعد تجاهل مديد. إنطلقت منذ الأول من أكتوبر/ تشرين الأول 2019. وهي مازالت متواصلة الى يومنا هذا. أعادت الإنتفاضة للشعب العراقي حيويته، وألهبت حماس وثقة المواطنين بأنفسهم، وعادلة مطاليبهم ومشروعهم التاريخي. نالت الإنتفاضة إحتراماً كبيراً وطنياً ودولياً. فضحت الإنتفاضة الجرائم التي ارتكبت ضد الشعب العراقي بفترة قصيرة. إذ حققت قفزة نوعية، فيما يخص تفهم العالم لهموم ومصاعب الشعب العراقي. عجزت عنه ستة عشر عاماً سابقة.

توصل د. خيرالله سعيد من خلال تجربته الحياتية العملية والعلمية والذوقية، الى قناعة تامة بأهمية النظر الى الأوضاع القائمة في العراق تحليلاً وتقويماً، من زاوية الإبداع الشعبي. كتب: **"إن آداب الشعوب في كل المـراحل التاريخية، هي المـرأة العاكسة، سلباً أو إيجاباً. ومن خلال مِـرآة الأدب والفكر، نستطيع الحُـكم على نفسية وأخـلاق كل شعبٍ من تلك الشعوب. ووجد أيضاً، أن الأدب الشعبي أكثر صدقاً وحميمية في التعبير عن السواد الأعظم من كل شعب، لأنهُ ألصق بحياتِهم اليومية بكل ما فيها، وبالتالي فإن الأدب الشعبي أكثر صِـدقاً وبساطة وعفوية وقبولاً وتعبيراً عن نبض قلوبهم وعن إحتياجاتهم الملحة.**

اعتبر النقاد جهداً مميزاً يُثير الإعجابَ، أَنْ يَكْتُبَ باحثٌ مسيرةَ حركاتٍ اجتماعية لِفترةٍ تَمْتَدُ نحو قرن. ولكن ماذا نقول عن تدوين ذلك شعراً؟ ليس هذا حب، وإنما تُدون تلك المسيرة شعراً شعبياً، ومن قبل باحثٍ أكاديمي جاد ومتمرس. عاش وشارك ولاحظ وراقب وإنفعل في بحر تلك الأحداث. وأخيراً، توج سفره الغني بملف جميل عن يوميات حدث كبير ـ إنه إنتفاضة الأول من اكتوبر ـ تشرين الأول.

ي**قول الكاتب والشاعر خيرالله سعيد في إستهلاله بوضوح تام**. إن الإنسان موقف، هذا نص ما جاء في الكتاب: (**إستهلال: إذا كان الإنسان أثمن رأسمال، وفق تعبيرات كارل ماركس الإقتصادية، فلا قيمة لهذا الإنسان إذا لم يكن لديه موقف)**. يؤكد الإستهلال ما أكده ماركس بكون الإنسان قيمة عُليا. وشارك الكاتبُ ماركسَ بإختصارٍ جميل لأحلى تجليات الإنسان ـ الموقف. تظهر وتتجسد فيه المثل والقيم العليا والتضحيات في سبيلهما، ومن خلال زاوية رؤية لا تعاني الغبش. وبديهي أن تتأثر زاوية الرؤية بالموقع الذي تنطلق منه الإنسان، أي تحت تأثير أين يقف الإنسان من إنتاج وإستهلاك الخيرات المادية والروحية. وأين يقف الإنسان بالأمس واليوم خلال حركة المجتمع. وكيف ينظر الى التاريخ، وكيف يحلل أحداثه،

ويستخلص عبره، وكيف يقوم تجاربه.

قال الشاعر بصدق: تفاجأت بالإنتفاضة. هذا هو حال تلقي كل الأحداث العظيمة في تاريخ الشعوب. تزداد الأحداث زهواً حين تتسع المحاولات لإغلاق أبواب الأمل لفترات مديدة وقاهرة. يتوهج إنفعال الشعراء الذين يحبون شعوبهم، ويَكون أعمق مما يتخيله غيرهم بمثل تلك الحالات الثورية المميزة. تكون إيقاعات وألوان وحركات الأحداث عندهم مختلفة، أي صافية دون أية شائبة تضر بجمالها. يكمن السبب في صدق المشاعر ورهافة الحس والقدرة على التحليق في عوالم اللحظة الراهنة والمستقبل القادم.

توهجت بفعل الإنتفاضة أطياف مشاعره. طوى أوراقاً أتعبت ذاكرته، وأجهضت بعض آماله. وضعها بحذر ورفق الى جانبه. استرجع ذكريات الصعود الثوري في منطقتنا في عهد فتوته وشبابه. ردد مع نفسه المتوثبة: الشعوب ولادة والعراق كالماء في ساعات إنسيابة وساعات غضبه، **وبلغة الجواهري: يسرف العراقي في شحه والندى.**

تريّث قليلاً، ولكنه سرعان ما عاد الى سلاحه المجرب الى الشعر. كما يعود المقاتل الى مشجبه. كتب الشاعر نصه الآتي بعد أن إستعد: **"لرصد تلك الحالة السياسية شِعريّاً،** ومعالجتها ضمن سياقات الموّال السومري" ويضيف: "لكنّي نظمتها على صيغة ـ **الموال الزهيري** ـ والذي ينظم على سبعة أبيات فقط، مع الحفاظ على الوزن البسيط والجناس في كل ثلاثة أبيات، فيما يكون البيت السابع، والذي نسميه **"القفل"** يعود بجناسه الى الأبيات الثلاث الأولى، لأنه بهذه الصيغة يكون أقرب الى روح الثوّار في الإنتفاضة الشعبية. وقد تركت هذه الموّالات بدون شرح، لأن العراقيّين يفهمونها على سجيتهم، وقد راعيت في نظمها أحداث الإنتفاضة الشعبية ويوميّاتها، وأحداثها، وما رافقها من تجليات، بحيث أن مضامين تلك المواويل، يشرح ما فيها من احداث بصدقٍ وواقعية". **هكذا ولد الملحق:** يوميات الإنتفاضة في الموّال السومري. كما صوره الشاعر نفسه في الأسطر السابقة.

إن لجوءَ شاعرٍ الى تسجل أحداث عصره الهامة أمراً نجد في الكثير من الحالات والمنعطفات. أما المشاركة في الأحداث الكبرى أمر أقل إنتشاراً، ولكنه حاصل. لنأخذ على سبيل المثال **ما عُرِّف بالفتنة الرابعة،** الفتنة المروعة بين الأخوين **الخليفتين العباسيين الأمين والمأمون ولدي هارون الرشيد،** التي جَرَّت البلاد الى حرب أهلية مروعة في بغداد. تلك الفتنة دفعت **عمّرو الورّاق البصري** للتعامل معها ليس كمجرد متابع لتطوراتها، بل كان حسب طاقته شاهداً ومساهماً ومؤرخاً بشعره للأحداث اليومية خلال تلك الفترة الضاربة في العنف والتدخلات من جانب اصحاب المصالح. سجل فيها مجموعة كبيرة من القصائد الشعرية المعبرة عن تلك المحنة. **على طريق عمّرو الورّاق البصري** الذي سجل أحداث

الفتنة بكل مراراتها. **سار الشاعر خيرالله سعيد**. ننتخب أبياتاً للشاعر العباسي **عمّرو الورّاق:**

أي دهـــر نحن فيه ـ مـــات فيـه الكبـراء
هـــذه السفلة والغـــو ـ غـاء فينا أمـــناء
مالنا شيء من الأشـــــ ـ ياء إلاّ مـــا يشاء
ضجت الأرض وقد ضجّت الى الله السماء
رفـــــع الدّين وقـد ها ـ نت على الله الدماء
يا أبـــا موسى لك الخيـ ـ رات قد حان اللقّاء
هاكـــها صرفاً عقـــاراً ـ قـــد أتاك الندماء

يمكن تشبيه تبرعم **الموّال الزهيري** بجذع الشجرة النامية والباسقة، التي تمدنا بأغصان جديدة، لتخلق حالة أوفر فيئاً وأزكى ثماراً وإلتزاماً بقواعد وأصول النظم، وزناً وجناساً وقفلة. وأخيراً قد لا أجد قولاً بعد قول **الغزالي**: **"من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج، ليس له علاج".**

نعود الى المساهمات الهامة للشاعر خيرالله سعيد في إنتفاضة الشعب العراقي. **أعد جبلاً عالياً ومزهراً من الموّاويل،** وزاد عليه لرفع الهمم ما عرف **بالهوسات العراقية** التي كانت مقتصرة على العشائر، وهي تؤثر بقوة على العقل الجمعي. زادت شعبيتها بين شباب المدن الكبرى أيضاً في عصر الإنتفاضة الملهم. أضاف ملاحظات معبرة ـ **مشيـچيخـــات** كما عرفت شعبياً. وكما لم يبخل بالهوسة الشعبية، لم يفته المرض الخطير اليوم ـ المرض العالمي ـ **كرونا،** بكل أبعاده. الى بعض تلك الإبداعات من السجل اليومي للإنتفاضة:

بِسِم المَذاهِب چذب ـ صـاروا علي سـادة
وادّعـــوا عِترة نبي ـ مِن صُلْبِهِ وسـادة
يا صاح جيت أسألك ـ هَم تِسْرق السادة !؟
* * *
وكُل الفضايح بهُم ـ من يوم اجـــوا للحُكُم
هـــذا يبوك البَنِگ ـ وذاك يُـــزوّر حُكُـــم
وثالِث يحوش الخُمُس ـ ويگـــول هـذا حُكُم
وضاع الشعب والوطَن ـ من ظهروا السادة
* * *
فِرقونا هُم من إجوا ـ بِن سَيّـــد وعـــامي
بريمر فُضَحهُم صدگ ـ لَمّن كِتَب **"عامي"**

ودقّقْنا في كُل نَسَب ـ وكُلها اطلعت عـامي
* * *
وكُلهُم أعاجِم صفوا ـ ما صدگ بيهُم نَسَب
واعرفنا بيهُم نَغَل ـ لا أب إله ولا نَسَب
واللّي خِـــدع شَعبِـنا ـ واجِـب عَليهِ نِسِـب
بالـزور يدعـي نَسَب ـ وحَـتْ ما ثِبَت عامي
* * *
يا صاح دَمّك هِـدر ـ لا يَصُح أن تَغفِـــله
وبـــوگ الحَرامي غَفُل ـ إيّـــاك أن تغفِـله
وذيب الطوايف نُجِـــس ـ ما عين قَـد تغفِـله
* * *
بِسْم الـديانة إجـــوا ـ وچذبـوا علينا بقَسَـم
ولمّـــن صفـوا بالحُكُم ـ قَسّمـــوا بينا قِسِـــم
وصار الُحكُـم طائِـفي ـ ولكل جماعـــة قِسِـم
وصار الوطـــن عِندَهُم ـ كل الفِعِـــل يغفَله
* * *
خرسا تسانِد شَعـــب ـ وافعالها تحچـي
والشَعَب من شافَها ـ گال الـوطن يحچـي
كلينس ورق وَزّعـت ـ وبدموعها تحچـي
* * *
واللّي نظرها وُگـــف ـ واحتار بيـــه الفِكـــر
وتأمّـــل بفعـــــلها ـ وكيفَ يُفَلسِف فِـكـــر
كيف انـزرع هالوطن ـ بلسان قَـط ما فِكـر!؟
واللّي ضـميره صَحى ـ قط ما يحوج الحـچي
* * *
قُـــم يا شَهيد الوطـن ـ بِسمك حِچـت نـدِبه
وِدمـــاك حِنّـــه صُفَت ـ والوطـــن بيه نـادِبه
وِحْديثه حـچيت شِعِر ـ وصوت الشَعَب نادابه
* * *
إعلم يصاحِب جَـــرح ـ سيوف الغَدر ماضيـه
وكُل شَخِص في هالوطن ـ يُعرف صِدق ماضيه
جَرحَـــك يعَلّم بِنـــا ـ واحـــنا بدرب مـاضيه
واللّي مُضـى بنِيّـــةٍ ـ صـــوت الشَعَب نادابِـه

* * *

جيل الـــوفا بالـــوفا ـ معلـــــوم الـــــه سابِقه
وجيل "التـــكـــــاتِـــك" ظهر ـ محّد سِبق سابقه
أَشْـــده جميـــع الخَلـگ ـ لمّـــن ظَهـر سابِقـــه

* * *

وصـرنا نعـاين پِـله ـ ومشـدوه منّا بَصَـر
كيفَ پِديـــر الوعي ـ وهوَّ بَعَد ما بُصَـــر
يادوب تَـــوّه انفطَم ـ وَوّل حـياته بُصَـــر
ومن شاف وطْـنَه انسِلب ـ گام وسِبق سابِقه

* * *

ما بين كَـــرٍّ وفَر ـ جِبنا "المربعة وسِـنـك"
ودَم الشهادة جَرى ـ ما بـين جسـر وسِنك
واتْركنا في كل كـتر ـ جرح ودماء وسِـنك

* * *

بعمر الزهور المِشو ـ خَلّوا مآسي وجرح
وارواح لِـيهم هِفَت ـ ما بين شوگ وجرح
بِسم العِـــراق انتِخـوا ـ لمّن رأوه انجرح
وحِسموا أمر شَعبُهم ـ كي يضحَكِلهم سِنَك

* * *

يـاصاح روحي پِلَك ـ وگلبي پِلَـك مِـنفِتِـح
ومِن يوم صِـرنا رَبُـع ـ بابي يظَل مِـنفِـتِـح
وسِرّي فِـتَـحته إلَـك ـ لغـيرك أبد مَـنْفِتَح

* * *

واحفَظت عَهد الوِفا ـ من يـوم گمت افتِكِر
قَـط ما خِنِتْ لحظـةٍ ـ مَـرّت علـــيّ بفِكِـر
وابسط سـوالِـف مُضت ـ مااخـطرَت ليك بفِكر
وانا ذِكرت بوَجـــد ـ وگلبـك أبـد مَـنْـفِـتَح

* * *

هـوسة:

إحنا اطفال عِدنـا وتِلْعب ويه الموت
وجمع نسوان عِـدنـا اتـعانـق التابـوت
إهِـي تـدري إبنها ولعـثمـاها الصوت

هي: يل شايل نعشه ـ حطْ الورد وشير اعليه
* * *
*** هوسة :**
ما نقبل نِبيعك وانتَ ماتنباع
ولا نِقبْل نِبَدّل گاعَك بِكل گاع
إنتَ عراگنا وأبناء بيك اسباع
هي: برموش العين احنا انشيلك
* * *

مشيچيخات سومرية:
يا حيف صار البَزخ ـ كِلمن يجي لاعِبه
واللّي اجونا غَفُل ـ صاروا بِهِ لاعِبه
ولو تِنشِد اعلى الأصل ـ شوف الذي لاعبه
* * *
من حيث حتى الفَرح ـ يعرُف بزخهُم چذب
واللّي چذب عالخلگ ـ حتماً بدينه چذب
وباسِم النبي چذِّبوا ـ وبكُل حچيهُم چذب
وذب العِمامة صَفُح ـ وگام وبزخ لاعبه

* * *

موّال سومري، يحاكي "جائحة الكارونا" وانعكاسها على الحلة العراقية:
"كارونا" جَتنا غَفُل ـ خَرْبَت حِساب الوكتْ
طَشرت رِفاق الدَرُب ـ والسُلطة وجدت وَكِتْ
الغُمّان قادة اصبحوا ـ والله زمان ووَكِتْ
* * *
لا برلمان الصِدگ ـ ولا مِن شَريفٍ ظَهر
واحزاب كلها غَدر ـ كِسرت عِراق بظهر
خانت أماني الشَعب ـ بوضح النهار وظُهُر
حِسْ يا شَعَب مِحْنِتك ـ بيدَك تِغير الوكِت
* * *